



رحلات
نحو المساواة
بين الجنسين
في الإسلام

زيبا مير حسيني



رحلات نحو المساواة بين الجنسين في الإسلام

زيبا مير حسيني

ملاحظة تمهيدية

إذا كانت العدالة قيمة جوهرية في الإسلام، فلماذا لا يزال الفقه يعامل النساء كمواطنات من الدرجة الثانية؟ هل يمكن استنباط حجج المساواة بين الجنسين من داخل الإسلام نفسه؟

في كتاب "نحو مساواة النوع الاجتماعي في الإسلام"، تستكشف زيبا مير حسيني هذه الأسئلة من خلال حوارات متعمقة مع ستة مفكرين مسلمين إصلاحيين: عبد الله النعيم، أمينة ودود، أسماء المرابط، خالد أبو الفضل، محسن كديور، وصديقة وسمقى. يتتبع الكتاب مشوارهم الفكري في إعادة تفسير لنصوص والأحكام ذات الصلة بالتعاليم الإسلامية عبر عدسة مساواة النوع الاجتماعي.

يقدم هذا المقال الترجمة العربية للفصل الرابع التي أنجزتها هدى زكري، المستشارة القانونية المغربية المتخصصة في قانون الأسرة، حيث يدور الحديث بين الكاتبة وبين أسماء المرابط، الناشطة النسوية المغربية، الباحثة في الفكر الإسلامي، وعضوة في أكاديمية المملكة المغربية.

نبذة عن المؤلفة

د. زيبا مير حسيني مختصة في الأنثروبولوجيا القانونية ومؤسسة مشاركة لحركة "مساواة" [1] العالمية من أجل المساواة والعدالة في قوانين الأسرة المسلمة. تجمع أعمالها بين البحث الأكاديمي والنشاط الحقوقي، حيث تقود أبحاث تشتبك مع التفسيرات الأبوية /الذكورية في التراث الإسلامي التشريعي وتستكشف الأبعاد الأخلاقية والقانونية للزواج في هذا التراث. وهي مؤلفة ومحركة للعديد من الكتب ذات التأثير الكبير في هذا المجال [2].

Introductory Note

If justice is a core value in Islam, why does its legal tradition continue to treat women as second-class citizens?
Can arguments for gender equality be drawn from within Islam itself?

In Toward Gender Equality in Islam, Ziba Mir-Hosseini explores these questions through in-depth conversations with six Muslim reformist thinkers: Abdullahi An-Na'im, Amina Wadud, Asma Lamrabet, Khaled Abou El Fadl, Mohsen Kadivar, and Sedigheh Vasmaghi. The book traces their intellectual journeys in reinterpreting relevant texts and rulings through a gender-egalitarian lens.

This paper presents the Arabic translation of Chapter 4 by Houda Zekri, a Moroccan legal consultant specializing in family law, where the author engages in a discussion with Asma Lamrabet, a Moroccan feminist, a Qur'an scholar, and a member of the Academy of the Kingdom of Morocco.

Ziba Mir-Hosseini is a legal anthropologist and co-founder of Musawah, a global movement for equality and justice in Muslim family laws. Her work bridges scholarship and activism, leading research projects that challenge patriarchal interpretations of Islamic law and explore the ethical and legal dimensions of marriage in Muslim traditions.

She is the author and editor of several influential books.

رحلات نحو المساواة بين الجنسين في الإسلام

زيبا مير حسيني

«تتحدى هذه النظرة النسائية الجديدة مزاعم التفوق الذكوري، ولكن ليس على أساس المنافسة بين الجنسين. إنها وجهة نظر جديدة لا يمكن إلا أن تكون مثرية، وهي تأخذ بعين الاعتبار التجربة الروحانية للنساء، التي غالبًا ما تكون غائبة عن المراجع الإسلامية. الروحانيات لا جنس لها، ولكن هناك علاقة معينة معاشة مع الله تُدرك بشكل مختلف من قبل النساء والرجال... هنا يمكن أن يكون إدراج المنظور النسائي إضافة أساسية للتجربة الروحية الإنسانية[3].»

اسماء المرابط طبيبة مغربية وكاتبة تتمتع بحضور نشط في المجال العام وفي وسائل التواصل الاجتماعي. عملت كطبيبة أخصائية في أمراض الدم[4] في مستشفى ابن سينا الجامعي بالرباط، وعينت رئيسة كرسي الدراسات الجندرية في المؤسسة الأوروبية العربية للدراسات العليا في غرناطة، إسبانيا. هي أيضا عضوة في اللجنة العلمية للمعهد الوطني المغربي لادريس بنزكري لحقوق الإنسان. وُلدت في عام 1961 في الرباط، تلقت تعليمها في فرنسا والجزائر ولبنان جراء النزوح السياسي الذي عاشه والدها، قبل أن تعود إلى جامعة الرباط لإكمال دراستها الطبية، متخصصة في علم الأمراض. تزوجت سنة 1982، حين كانت لا تزال تدرس وكان زوجها قد بدأ مسيرته الدبلوماسية. بين عامي 1996 و2003، عاشت في عدة دول في أمريكا الجنوبية، حيث قامت بالعمل التطوعي في المستشفيات العامة. في عام 2008، شاركت في تأسيس المجموعة الدولية للدراسات والتفكير حول المرأة والإسلام GIERFI. بين عامي 2010 و2018، تولت إدارة مركز الدراسات والبحوث حول قضايا المرأة في الإسلام بالرابطة المحمدية للعلماء. عملت أيضا كعضوة في اللجنة الوطنية المغربية للتعليم والثقافة منذ عام 2015، وكانت من مؤسسي كرسي فاطمة المريني في جامعة محمد الخامس بالرباط سنة 2017.

بدأت مسيرتها ككاتبة في عام 2002 بكتابها "مسلمة بكل بساطة"[5]. كان هذا الكتاب بمثابة اعلان عن صوت مميز لامرأة تعارض كراهية الإسلام وتفسير الإسلام من منظور أبوي/باترياركي، وتستعيد هويتها النسوية والإسلامية. وعرف هذا الصوت توسعا وانتشارا من خلال العديد من منشوراتها اللاحقة حول موضوع النساء والإسلام، والتي كتبت جميعها باللغة الفرنسية، وترجم معظمها إلى الإنجليزية والعربية والإسبانية. في عام 2013، حصلت على جائزة منظمة المرأة العربية لعلم الاجتماع عن كتابها "النساء والرجال في القرآن"[6].

منذ سنة 2006، زرت المغرب عدة مرات للعمل على مشروع بحثي حول مسار إصلاحات قوانين الأسرة في إيران والمغرب، بناءً على أبحاثي السابقة في المحاكم الأسرية في أواخر الثمانينيات. في مايو 2008، صادفت أعمال المرابط؛ اشترت كتابها الذي نُشر مؤخرًا "القرآن والنساء: قراءة تحريرية"[7]. لقد أثارت اهتمامي مقدمة الكتاب التي استحضرت فيها الكاتبة لقاءً في ضاحية من ضواحي باريس، مع مجموعة من النساء المسلمات اللاتي خصصت لهن الكتاب. كانت هؤلاء النساء يكافحن ليكنون مسلمات ومواطنات متساويات "في بيئة تزدد عدائية تجاه احتياجاتهن الروحية، وللنضال ضد جميع أشكال التمييز، ولتأكيد حقهن في أن يكن مواطنات كاملات، ولإدانة سياسات التهميش التي تهمشهن باستمرار إلى ثقافة فرعية." [8] من الواضح أن الكاتبة تعاطفت مع هؤلاء النساء اللاتي "تجاوزن مرحلة أزمة الهوية التي تعني الشعور بالتمزق بين ثقافتين تبدوان غير متصلحتين. فهن من خلال إيمانهن، قد تصالحن بالفعل بين الثقافتين ويرغبن في تعريف ثقافتهم الخاصة، المتنوعة والخصبة والمفتوحة على جميع القيم الكونية.[9]

ذكرني الأسلوب والنبرة في الكتاب بكتابات فاطمة المريني الأخيرة، وكنت متحمسة للقاء المرابط. تم تقديمي إليها من خلال صديقة مشتركة، وزرتها في منزلها خلال تلك الرحلة. كانت على دراية بأبحاثي واكتشفنا كثيرا من القواسم المشتركة بيننا لا سيما في مقاربتنا لسياسات الحقوق المبنية على النوع الاجتماعي في السياقات الإسلامية، وفي رؤيتنا للتغيير. بعد ذلك الاجتماع الأول، كان لنا لقاء كل مرة زرت فيها الرباط، ونظمت لإجراء مقابلة معها عند تعيينها مديرة لأول مركز للدراسات النسائية في مؤسسة دينية في المغرب، الرابطة المحمدية للعلماء.

[3] أسماء المرابط، 2016، ص. 6-7

[4] Hematologist

[5] 2002 Musulmane tout simplement.

[6] أسماء المرابط، 2012

[7] Le Coran et les femmes : une lecture de libération، 2007، نشر لاحقًا بالإنجليزية

[8] أ. المرابط، 2016، ص. x

[9] نفس المرجع، ص. xi

رحلات نحو المساواة بين الجنسين في الإسلام

زيبا مير حسيني

تأسست هذه الرابطة عام 2006 بموجب ظهير ملكي بهدف تعزيز قيم الاعتدال في الإسلام بالمغرب. ترأسها الدكتور أحمد عبادي، الذي عرف كإصلاحي وعالم رحب الأفق. عُين من قبل الملك، وكان مكلفًا بجمع "مختلف فصائل المفكرين المغاربة على طاولة واحدة بهدف تطوير رؤية للبلاد[10]."

أُجريت أول محادثة سجلتها مع أسماء المرابط في 25 مارس 2010، بعد فترة وجيزة من توليها منصبها رسميًا كمديرة للدراسات النسائية. التقينا في مقر الرابطة، حيث كان لدي أيضًا اجتماع قصير مع الدكتور عبادي، الذي التقيته لأول مرة في عام 2008 في مراكش، خلال أحد اجتماعات "مشروع أوصلو للاتجاهات الجديدة". طلبت منها أن تتحدث عن مسيرتها الشخصية والفكرية، من النسوية العلمانية إلى النسوية الإسلامية، وعن تعيينها في الرابطة، بالإضافة إلى مقاربتها لدراسة القرآن.

من العلمانية إلى النسوية الإسلامية

ز.م.ح: دعينا نبدأ بمسيرتك الشخصية والروحانية والفكرية، من ممارسة الطب إلى دراسة النساء في القرآن.

أ.ل: بدأت رحلتي كبحت روحاني بدلاً من كونه بحثاً عن حقوق النساء. كانت "ثقافتي غربية" بمعنى أنني كنت أرى الإسلام كعادات دينية تميز ضد النساء بشكل كبير. لطالما أردت تغيير الأمور في صغري، لكن من منظور ترعرعت عليه في المدرسة والجامعة، والذي كان ذا طابع غربي بحت. إلا أنني ما فتئت أن استحضرت عقيدتي وتساءلت ما إذا كانت حقاً تتعارض مع حقوق النساء.

هذا التساؤل كلاسيكي في حد ذاته وكان بإمكانه خلق مشكلة حقيقية لي بخصوص علاقتي مع الله ومع نفسي وإيماني. لذا قررت أن أتصرف. فكرت: أنا امرأة متعلمة، دكتورة في الطب، متمكنة من عدة لغات - من بينها العربية والفرنسية - والمعرفة الدينية لا ينبغي أن تكون حكراً على العلماء. كامرأة مسلمة، قلت لنفسي إن لدي الحق في رؤية ما تقوله فعلا المصادر النصية عني كامرأة. أردت أن أكتشف ذلك بنفسني.

كانت تلك نقطة الانطلاق، واستمر نهجي اليومي للاكتشاف لمدة عشرين عامًا. أدركت أنه على مر القرون تقبلنا مسلمات كثيرة حول وضع النساء في الإسلام. أو من بأن الإسلام كان رائدًا في منح النساء حقوقهن، وأقول هذا بصفتي امرأة من القرن الحادي والعشرين. هذا ليس بخطاب تبريري كما أنني لا أرغب في الوعظ؛ أقول هذا لأنني مقتنعة بهذه الحقيقة ومؤمنة بها. هناك الكثير من الأمور في القرآن والسنة، والتي - إذا عرفنا كيف نقرأها ونعيد تفسيرها ووضعها في سياق جديد - يمكننا وصفها بأنها خطابًا طليعيًا. أنه خطاب كوني في مبادئه وليس في تفسيره، فالتفسير يتغير حسب السياق.

ز.م.ح: هل كانت هناك تجربة أو حدث معين أثار أو حفز تغيير وجهة نظرك؟

أ.ل: نعم، بالطبع. كان ذلك خلال حرب الخليج 1990-1991. شعرت بإحساس بالخيانة من الغرب - لم يكن الأمر بمثابة قطع للعلاقة وإنما إعادة تقييم وإعادة تثمين لعلاقتي بنفسني وبالغرب. بدأت أتساءل عن أي جزء من هويتي أحس بالإهانة وبالنفور مما رأيته كعمل عدواني من الغرب. كانت الإجابة بالتأكيد هي الجانب المسلم من شخصيتي والذي كان دفينًا حتى آنذاك. كانت هذه بداية صراعاتي الشخصية مع هويتي وهنا بدأت استكشف عقيدتي من جديد.

ز.م.ح: بالنسبة لي أيضًا، كانت حرب الخليج الأولى نقطة تحول؛ كنت غاضبة جدًا مما كان يحدث حينها، من ازدواجية المعايير والظلم في كل ذلك؛ من المثير للاهتمام أننا شعرنا بنفس الشيء. هل كانت تلك الفترة حين بدأت تستعيد إيمانك هي نفسها عندما قررت ارتداء الحجاب؟

أ.ل: لا، جاء ذلك في وقت لاحق بكثير.

ز.م.ح: أشعر بفضول حقيقي لمعرفة لماذا فعلت ذلك - كدلالة على هويتك الجديدة أم كواجب إسلامي؟ كيف يرتبط ذلك بقراءتك التحريرية للقرآن؟

رحلات نحو المساواة بين الجنسين في الإسلام

زيبا مير حسيني

أ.ل: قد تستغربين من جوابي. أنا ضد الحجاب؛ إنه يقمع النساء. اعتبره عائقًا مطلقًا أمام تحرير المرأة. أنا اخترت ارتداء الخمار[11] وليس الحجاب. الخمار يمثل لي تصور روحي لانتمائي إلى الإسلام وهو توصية قرآنية، وليس واجبًا. لا اعتقد أنه أولوية دينية. أريد أن أكتب مقالًا عن التمييز بين هذين المفهومين. مفهوم غطاء الرأس في القرآن ليس له علاقة بالحجاب. عندما يتحدث القرآن عن السلوك الأخلاقي للنساء، فإنه يتحدث عن الخمار - كما في الآية 31 من سورة النور، حين يقول للنساء أن يضربن بخُمُرِهِنَّ على جيوبهن (صدورهن)[12]. تعرفين أن فاطمة المرينسي كانت أول من كتب عن هذا الموضوع، لكنها لم تتعمق فيه. [13]

في المصطلحات القرآنية، الحجاب يعني الفصل، الإخفاء، احترام الفضاء الخاص. يظهر المصطلح نفسه في القرآن سبع مرات ودائمًا بمعنى حاجز - أصل الكلمة باللغة العربية هو "حجب"، بمعنى الإخفاء أو التغطية؛ ولا وجود لعلاقة بلباس النساء أو تغطية الشعر[14]. الآية التي تم استخدامها كحجة لعزل النساء هي الآية 53 من سورة الاحزاب، "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَظْرِينَ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَنْسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيَ مِنْكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيَ مِنْ الْحَقِّ ۗ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَّعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ". هذه الآية تتعلق بالسلوك اللائق في بيت النبي، لتلبية حاجة سياسية وثقافية في تلك الفترة وهي ضرورة الحفاظ على خصوصية النبي وحياته الخاصة. على أي حال، لا تمثل نموذجًا معينًا للملابس أو قواعد لباس محددة. جوهر هذه التوصية هو تعليم العرب آنذاك احترام خصوصية الآخرين وتلقيهم سلوكيات جيدة.

نعلم من التفاسير القرآنية أن هذه الآية نزلت في زواج النبي من زينب بنت جحش؛ عندما دعا في هذه المناسبة عددًا كبيرًا من الناس لتناول وجبة احتفالية نظمت في منزله الصغير. بعد الوجبة، ظل ثلاثة رجال يتسامرون حتى ساعة متأخرة من الليل، بينما بقي النبي وعروسه فقط في الغرفة. لم يستطع النبي، المعروف بأدبه ولطفه، أن يطلب منهم المغادرة مما تسبب له في الاحراج. نزلت هذه الآية رداً على هذا الموقف. كما أنها منحت لزوجات النبي مكانة خاصة كـ "أمهات المؤمنين" لينلن احترام وتكريم جميع أفراد المجتمع.[15]

وجهة نظري بخصوص مفهوم الخمار هي استحضار الاحتشام والادب والحياء في السلوك والتصرفات، سواء داخليًا أو خارجيًا. يبدو لي في غاية الأهمية وجوب تصحيح هذا الخطأ المفاهيمي: يجب ألا يُطلق على تغطية الرأس أو أي شكل من أشكال اللباس المحتشم اسم الحجاب بل الخمار كما جاء في القرآن الكريم. لقد تسبب هذا التسلسل الدلالي في عزل النساء؛ إنه رمزي ولكنه مهم جدًا لأنه يتعارض مع المفهوم القرآني للحشمة واللباس للنساء. لذلك، أرفض مصطلح "الحجاب" وأرفض استخدامه باللغة الإنجليزية أو الفرنسية. عندما يقول الغربيون أن المرأة المحجبة هي امرأة مضطهدة، أجيب بالقول: "نعم، هي مضطهدة عندما تكون 'محجبة' أو معزولة." وعندما يقول المسلمون أن "الحجاب" مهم، أقول: "نعم، إنه أداة مهمة لإبقاء النساء في العزلة."

من المؤكد أن ما يسمى بـ "آيات الحجاب" هي ما ينتمي إلى الآيات القرآنية المتعلقة بالمعاملات والأخلاقيات. أعتقد أنها تركت مفتوحة عمدًا، بعيدًا عن أي تقييد أو حزم، للسماح للنساء والرجال من كل مجتمع بتفسيرها كما يشاءون. ففي كل سياق هناك مفهوم مختلف للحياء؛ وفي كل سياق اجتماعي تاريخي، تغير واختلف لباس البشر.

بالنسبة لسؤالك، فقد اعتمدت هذا الخمار بعد مدة طويلة من تلك التجارب الشخصية. لم يكن الأمر بمثابة أزمة هوية وإنما بعد استيعابي تمامًا لهذه الرؤية القرآنية الجديدة، اقتنعت أن: "لدي الحق في الاختيار!" كانت فكرة تحررية، ولا أجد تناقضًا بين التحرر وارتداء غطاء الشعر.

[11] كلمة خمار مشتقة من "خمر"، بمعنى "يغطي". يشير المصطلح إلى قطعة من القماش التي تستخدمها المرأة لتغطية رأسها.
[12] للاطلاع على هذه الآية والخمار، انظر سيد حسين نصر (محرر)، القرآن الدراسة - ترجمة جديدة وتفسير. دار هاربر ون، نيويورك، 2015. ص 875-876.
[13] تشير إلى المرينسي، 1987
[14] الآيات هي: الأعراف، 7:46، الإسراء، 17:45، مريم، 19:17، ص، 38:32، فصلت، 41:5، الشورى، 42:51، الأحزاب، 33:53.
[15] للاطلاع على أسباب نزول الآية، انظر سيد حسين نصر، 2015، ص 1035.

رحلات نحو المساواة بين الجنسين في الإسلام

زيبا مير حسيني

النقاش برمته خاطئ منذ البداية لأننا لم نختر المعنى الحقيقي للمفهوم القرآني للبناء عليه. هذا ما أحاول إخبار كل النساء اللواتي أقابلهن؛ أنهن لا يرتدين الحجاب بل الخمار، وعلينا على الأقل أن نكون واعيات بما نرتديه. فإذا كان الحجاب هو ما ترتدينه، فلا ينبغي لك أن تخرجي إلى المكان العام على الإطلاق. وهذه هي مأساة مجتمعنا؛ نحن نحمل رسالة ومفهوما لا نستوعبهما، وهما خاطئتان تمامًا، ومعانيهما ليست كما نعتقد ولكننا ما زلنا ندافع عنهما. لهذا السبب فإن النقاش خاطئ منذ البداية.

في الواقع، تم تحريف وإساءة تفسير مفهوم الحجاب في الفقه الإسلامي بشكل أدى إلى ظهور مفهوم الحريم ثم استعمل لاستبعاد النساء من المجتمع. ولكن ذلك يشكل تحريفًا كاملًا للمعنى الأصلي. أنا أو من حقًا بأن الخطاب السائد حول النساء هو تمويه، وبشكل ما، هو موضوع مريح لبعض علمائنا اليوم للتركيز عليه، بدلاً من التركيز على الانظمة الاستبدادية المحلية والانحرافات عن الخطاب الإسلامي.

لم أستوعب تمامًا حينها لماذا كانت أسماء مهتمة جدًا باستخدام مصطلح "خمار" بدلاً من "حجاب"، لكنني قررت أن أتجاوز ذلك وأوجه الحوار إلى موضوع الإسلام والنسوية، والذي كان بمثابة قضية جدلية آنذاك في المغرب. لكن سؤالي، أو طريقة صياغته، أثار ردة فعل قوية من جديد.

ز.م.ح: أسماء، ليس لديك أي تحفظات بشأن تسمية نفسك نسوية؛ وهذا يتجلى بوضوح في مقاربتك للقرآن وفي تناولك لحقوق المرأة من منظور إسلامي. هذا ما يراه الكثيرون تناقضًا في المصطلحات. كيف تعرفين نسويتك؟

أ.ل: زيبا، أتقبل هذا السؤال فقط لأنه صادر منك. أتذكر لقاء لي مع النسويات الكنديات اللاتي في أول تواصل لنا، كان سؤالهن الأول: "ما هي النسوية بالنسبة لك وما هي المساواة بالنسبة لك؟". طرحن هذا السؤال لأنني من الجنوب، من بلد مسلم، وبالتالي، افترضن أن المساواة بالنسبة لي هي أن أكون في المطبخ حيث أنتمي، في خدمة زوجي! أتقبل هذا السؤال منك يا زيبا، وأرفضه حين يطرح علي من صحفيين غربيين وما شابه ذلك. أقول لهم إنني لو كنت أمريكية أو أوروبية أو بدون خمار، لما طرحتم هذا السؤال على الإطلاق. إنهم يسألونني هذا السؤال للتأكد مما إذا كانت وجهة نظري تطابق نوعية النسوية والمساواة التي يؤمنون بها. لا يخلو مجتمع النسويات من بعض العنصرية.

ز.م.ح: لكن أسماء، نحن بحاجة إلى التحدث عن معنى النسوية بالنسبة لنا؛ فهناك العديد من النسويات.

أ.ل: نعم، بالنسبة لي بشكل عام وتقريبي، متى كان هناك تمييز ضد المرأة وكانت هناك نساء يستنكرنه ويكافحن ضده، فهذه هي النسوية، لا أضيف أية صفة. أعتقد أن النسوية كانت موجودة منذ فجر الإنسانية: حواء كانت أول نسوية. المصطلح في حد ذاته ظهر في سياق غربي معين، وبالتالي تم إعطاؤه تعريفًا محددًا؛ لكن تساؤلي هو: "ماذا عن النسوية قبل النسوية الغربية، ماذا يجب أن نسميها؟" أنا أرى أن هذا المصطلح يتجاوز تاريخ السياق الغربي. لا شك في أن هذا التاريخ الغربي هو الذي أعطاه لغته ومطالباته وصلاحيته كمفهوم. لكنني أعتقد أن نضال المرأة عبر التاريخ لا ينبغي أن يُنتقص منه أو يُستهزأ به فقط لأنه لم ينشأ داخل هذا السياق الغربي. في الوقت الحاضر، حين أعرف نفسي كنسوية مسلمة، فذلك لأنني أعيش في سياق إسلامي، وأنطلق من قيم إسلامية، ولا أرى أي تناقض في ذلك على الإطلاق.

لذا أتبنى كلا المفهومين دون أي تردد. عشت طوال حياتي نسوية وأريد أن أستمر نسوية. تزعجني مواقف بعض النسويات الغربيات المتعصبات اللائي يعتقدن أن النسوية هي ملكهن الخاص، ولا أتفق مع النساء المسلمات اللائي يرفضن النسوية باعتبارها بناءً غربيًا. أعتقد أنه لا ينبغي لنا أن نضيع وقتنا في مثل هذا النقاش العقيم. المفهومان بمثابة كقيم كونية، واضحان تمامًا. في نظري، على النساء جميعًا أن تنخرط في هذه القضية؛ فنحن، بغض النظر عن سياقاتنا وخلفياتنا والتمييز الذي نعاني منه، نتشارك قاسمًا مشتركًا يجب العمل انطلاقًا منه.

رحلات نحو المساواة بين الجنسين في الإسلام

زيبا مير حسيني

ز.م.ح: أتفق معك؛ ولكن في نفس الوقت، الكلمات تعبر عن قصص وعن أعباء وتداعيات مختلفة على مختلف الأشخاص. هناك العديد من المسلمين الذين يطالبون بتنحية النسوية جانبًا لأنها وطيدة الارتباط بالاستعمار وعقلية التفوق العرقي الغربي.

أ.ل: كذلك الأمر بالنسبة للطب، هل سمعت يومًا عن شخص يرفض استخدام علاج لمرض ما لأنه من اكتشاف الغرب؟ أنا طبيبة، ونستخدم الأدوية المصنعة في الغرب يوميًا، لأن الثروة والتكنولوجيا والاكتشاف العلمي اليوم في أيدي الغرب. هل يجب أن أتجنب هذه الأدوية لأن البيئة الجيوستراتيجية والسياسية التي صنعت فيها معادية للمسلمين؟ هذا سخيف! يجب تجاوز هذا المنطق. كما تعلمين، كلما نوقش موضوع أكثر وكلما استخدمت كلمة أكثر، كلما قل تأثيرها الدراماتيكي. حتى لو عارض المرء مصطلحًا معينًا، فإن استخدامه المتكرر يحزره من طبيعته ودلالاته المثيرة للجدل.

عندما كنت أقوم ببحث ميداني في المغرب في أواخر الثمانينيات، لم يكن هناك حديث عن "النسوية الإسلامية" - لم يكن المفهوم متواجداً بعد. كان الإطار المرجعي لجميع المجموعات النسائية التي قابلتها هو النسوية وحقوق الإنسان، وكان كل شيء يتمحور حول إصلاحات قانون الأحوال الشخصية - مدونة الأسرة. كنت في تلك الفترة أشاركهم نفس وجهة النظر: فقد أصبحت نسوية خلال إقامتي هناك وصحبتني لمناضلات حقوق المرأة وتلمذتي على يد فاطمة المرينسي. عندما عدت في عام 2006، كانت سياسات حقوق المرأة قد تغيرت: تم إصلاح مدونة الأسرة، وأصبح هناك نساء ومنظمات تدافع عن حقوق المرأة من داخل إطار إسلامي [16]. كانت هؤلاء النساء في الغالب من الطبقة المتوسطة الدنيا؛ بعضهن ينتمين إلى منظمات إسلامية سياسية، والعديد من الأخريات كن مستقلات. تشكلت النسويات المغربيات المحنكات اللاتي عرفتهن من قبل في هذا الخطاب الناشئ، ورأينه كمؤامرة أخرى من الإسلاميين لتقويض المكاسب التي تحققت بشق الأنفس للحركة النسوية. بالنسبة لهن، كانت أسماء المرابط لغزًا [17]، نسوية من الطبقة العليا تتعاطف مع قضية "النسوية الإسلامية"، والتي كانت بالنسبة للعديد من المناضلات المغاربية تناقضًا في المصطلحات. إن تعيين أسماء مديرة لمركز دراسات المرأة في مؤسسة دينية جعل خطابها أكثر غموضًا. وكنت حريصة على معرفة رأي أسماء في وضعيتها.

ز.م.ح: في فبراير 2010، أصبحت مديرة أول مركز للدراسات النسائية تم إنشاؤه على الإطلاق في المغرب داخل منظمة دينية، الرابطة المحمدية للعلماء. كيف حدث هذا؟

أ.ل: بدأ كل شيء بكتابي عن زوجة النبي عائشة، التي كانت بالنسبة لي النموذج الأول للنسوية الإسلامية. أسلوب حياتها في الجزيرة العربية في القرن السابع يبدو لي طليعيًا. كانت غرفتها مفتوحة على مسجد النبي، وكان التلاميذ يأتون إليها بينما كان من المفترض أن تبقى خلف حجابها. لم تمنعها الآية المسماة بآية الحجاب من الانخراط في سياسة عصرها، وخوض معركة ضد الإمام علي؛ لم تكن خطوة حكيمة ولكن رغم ذلك تعتبر ممارسة سياسية. روت عائشة ما يقرب من ألفي حديث، وكما قال النبي (ص): "خذوا نصف دينكم من هذه الحميراء". كانت علاقتها بالنبي استثنائية. حتى زواجها المزعوم في سن الطفولة يتم التشكيك فيه الآن من قبل العديد من المؤرخين والمفكرين. على ما يبدو لم تتزوج في سن التاسعة، كما يظن الناس، ولكن في سن الثامنة عشرة. من المهم التأكيد على ذلك.

كتبت كتابًا عن كل ذلك وسميته "عائشة زوجة النبي أو الإسلام المؤنث" [18] لأنه في رأيي، لم تعتبر عائشة كتجسيد أنثوي للإسلام؛ إنما نذكرها فقط كرواية للحديث، غير مدركين للدور الجوهرية الذي لعبته. في عام 2006 نظم المركز الثقافي للمكسيك اجتماعًا لمناقشة الكتاب ودعا الدكتور العبادي لتقديمه لأنه قرأه، وهكذا بدأت علاقتنا. بقينا على اتصال وعندما انتهيت من كتابة القرآن والمرأة بعثته إليه ليقرأه ويعلق عليه. شكرت في الكتاب مساعدته التحريرية. عندما بدأنا [19] GIERFI [في عام 2008]، طلبت منه إلقاء كلمة بصفته عالمًا دينيًا وكانت رمزية حضوره مهمة. آنذاك، لم يكن هناك الكثير عن النسوية الإسلامية، ولم تكن هناك كتابات أو منظمات باللغة الفرنسية.

[16] بشأن سياسات حقوق المرأة في المغرب، والتوتر وتطور العلاقات بين النسوية والإسلام، انظر سليم، 2011، غري، 2013، تريب، 2019.

[17] دوريس غري تقدم تحليلًا حادًا لموقف أسماء وكيف كان ينظر إليها؛ غري، 2013، ص 151-161.

[18] المرابط، 2003.

[19] GIERFI (المجموعة الدولية للدراسة والتفكير حول المرأة في الإسلام)؛ انظر غري، 2013، ص 151-155.

رحلات نحو المساواة بين الجنسين في الإسلام

زيبا مير حسيني

كان العبادي سعيدًا جدًا بهذه المنظمة وأتذكر أنه ألح علينا لعقد اجتماعنا الأول في الرابطة المحمدية للعلماء - فكما تعلمون، عقد منظمة نسوية اجتماعًا في الرابطة كان يمثل سبقًا صحفيًا. كان ذلك في عام 2009، واحتل الحدث جميع وسائل الإعلام لا سيما الناطقة بالفرنسية - كان الأمر بمثابة تحالف بين النسوية والإسلام التقليدي الرسمي. في المغرب، كان الجميع يتحدثون عن النسوية الإسلامية، التي كانت جديدة في السياق الفرنسي. وهنا بدأت النسويات المغربيات الحرب ضدي، بسبب GIERFI وعملي مع الرابطة. طلب الدكتور العبادي مني بعد الفعالية، تشكيل شراكة رسمية مع الرابطة المحمدية للعلماء، وأخبرني عن إنشاء مركز للدراسات النسائية في الرابطة، وطلب مني ادارته. بدأت في فبراير 2010.

ز.م.ح: هل ترين شخصيًا أي تعارض بين صورتك العامة كنسوية وعملك مع مؤسسة دينية مثل الرابطة؟ أسأل هذا لأن في المغرب، كما هو الحال في العديد من البلدان الإسلامية الأخرى، تختار الغالبية العظمى من النسويات والناشطات في مجال حقوق المرأة الابتعاد عن الدين؛ فالدين بالنسبة لهن مسألة خاصة وليست عامة. يقولون: "كلنا مسلمون ولنا الحق في معتقداتنا، ولكن عندما نأتي إلى مجال القانون والمجتمع، فإننا نضع ديننا جانبًا."

أ.ل: إنهن منفصلات عن الواقع المعاش. إنهن يمثلن فئة صغيرة من المجتمع المغربي، البرجوازيات والنخبة الميسورة الحال و "المثقفة" المتمركزة في الرباط. الإسلام لا مفر منه لعامة الشعوب في كل من المجالين الخاص والعام. لا يمكن تجاهل الإسلام، فهو جزء لا يتجزأ من الجوهر التاريخي لهذه الأمة، ولا يمكننا المضي قدمًا والتطور إذا لم تتطور المفاهيم الإسلامية معنا. في الواقع، هناك قيم علمانية أعتقد أنها لا تتعارض تمامًا مع الإسلام؛ في بعض الأحيان يمكن أن يكون تبني مقاربة علمانية وسيلة لحماية الدين. الحقيقة هي أن قوانين الأسرة كانت دائمًا تنتمي إلى مجال الدين. لا يمكن للمجتمع أن يتقدم إذا لم تتطور هذه القوانين وإذا لم تكن المرأة على دراية؛ وعندما ينخرط المرء في الخطاب الديني، يكون له تأثير أكبر ويصل إلى القلب. على كل حال، الدين والروحانيات مهمان للغاية. حتى المجتمعات الغربية اليوم تشهد إحياء للروحانيات، ولكن الأمر أكثر تجليًا في البلدان الإسلامية. الخطاب الإسلامي التقليدي لم يعد مجددًا، لا مع الشباب ولا مع البالغين. هناك حاجة لشرح الدين بعبارات معاصرة إذا ما كنا نطمح لتغيير العقليات، نساء ورجالًا.

الا انه من الوهم اعتقاد أن جميع المشاكل ستحل بطريقة سحرية إذا اعتمدنا المنظور النسوي لقراءة القرآن؛ فهذا فقط جزء من المعادلة، وليس كلها. مشكلتنا الحقيقية هي غياب الديمقراطية؛ وبدون الديمقراطية والحرية السياسية، لا يمكننا تحقيق أي شيء. جزء من فهمنا المتجدد للإسلام يفيد أن الإسلام يتطلب منا العيش في بلد تسوده العدالة والمساواة والحقوق. تجدر الإشارة إلى أن قضية المرأة في الإسلام يتم استغلالها الآن لأغراض سياسية. تُمنح المرأة حقوقًا بشكل يشغل انتباه المجتمع الدولي وينسيه أن الحقوق السياسية العامة والأساسية لا تزال مفتقدة. كيف لي أن أرى الحصول على حقوقي كأمرأة عندما لا تكون حقوقي السياسية الأساسية مضمونة؟ يجب أن يجتمعًا معًا ويجب أن تكون المرأة على دراية بهذا البعد وتطالب بكامل حقوقها، السياسية وغيرها.

ز.م.ح: أوافقك الرأي على أن السبيل إلى حقوق المرأة وحقوق الإنسان والديمقراطية في بلدان مثل بلداننا يمر حتمًا عبر باب الإسلام. لكن المشكلة تكمن في الطرق التي يتم بها تبرير وتسويغ الاستبداد والسلطة الأبوية باسم الإسلام؛ فهما يشكلان بعضهما البعض في نواح كثيرة. بدون هيكل سياسي ديمقراطي وحرية التعبير، كيف يمكننا أن نجادل لصالح فهم مساواتي وتعددي وليبرالي لدينا؟ كيف يمكننا أن نطمح إلى مجتمع عادل وديمقراطي بدون مساواة للمرأة؟

أ.ل: نعم، يجب ألا ننسى أن التفسيرات المهينة بالمرأة نشأت جميعها في سياقات استبدادية. لقد ظهرت نتيجة للاستبداد وغياب الحرية. على الخطاب حول المرأة أن يتم في بيئة ليبرالية، وإلا فلا قيمة له على الإطلاق.

بدأنا للتو مشروعنا البحثي الأول مع منظمة مساواة، للانخراط بشكل نقدي في القوامة والولاية، وهما مفهومان متجذران في القرآن، واللذان، كما تم تفسيرهما وبنائهما من قبل الفقهاء المسلمين، وضع المرأة تحت سلطة الذكور. أردت أن أتعرف على قراءة أسماء للآية القرآنية 34 من سورة النساء والتي تستخدم كمبرر لسلطة الذكور، مقاربتها للقرآن بشكل عام.

رحلات نحو المساواة بين الجنسين في الإسلام

زيبا مير حسيني

ز.م.ح: سبق وأشرنا الى كيف تم تحريف المفهوم القرآني للحجاب لتبرير عزل المرأة وإبعادها عن المجال العام. هل يمكننا الآن الانتقال إلى الآية 34 من سورة النساء ومفهوم الطاعة أو التمكين، والذي من المنظور الفقهي، يتطلب من المرأة أن تطيع وتخضع لزوجها في الزواج؟ هل هذا مفهوم قرآني؟

أ.ل: يدهشني أنه كلما أردنا الحديث عن المرأة المسلمة المثالية، يتم استحضار مفهوم واجب المرأة في الطاعة. إنه ليس مفهوماً قرآنياً؛ إنما يوجد في بعض الأحاديث، والتي يجب فهمها في سياقها. الآية 34 من سورة النساء ليست عن طاعة المرأة، ولكن عن النزاع الزوجي وحله، ويجب قراءتها في سياقها. ليس لها علاقة بنوعية الطاعة السائدة في الخطاب التقليدي للإسلام. هذا النوع من الطاعة غير موجود في القرآن. أول الفقهاء مصطلح قانتات المذكور في الآية على أنه طاعة المرأة، لكن القانت هو الذي يكون مخلصاً لله وليس لأي شخص آخر. صور القرآن مريم على أنها قانتة، في حين لا يوجد دليل على أنها كانت متزوجة. أتحدى أي شخص أن يجد آية قرآنية تأمر بالطاعة كالتزام زوجي على المرأة. الآية 34 من سورة النساء خاصة وقريده من نوعها؛ يجب وضعها في سياقها بعناية والتعامل معها في إطار البنية الأساسية للقرآن. من خلال تحليلي للقرآن، يجب التمييز بين ثلاثة أنواع من الآيات.

النوع الأول يشمل تلك التي لها أهداف ومقاصد كونية. هذه الآيات، التي تشكل أكثر من تسعين في المائة من القرآن، تدعو إلى قيم مثل العدالة والمساواة والإنصاف واحترام كرامة الإنسان. وهي تشكل أساس الرسالة القرآنية وتتوجه إلى كل من الرجال والنساء. الفئة الثانية هي آيات نتاج مجموعة خاصة من الظروف، ويقتصر تطبيقها على فترة الدعوة وهي آيات لم تعد مقبولة؛ على سبيل المثال، تلك المتعلقة بالرق وبعض العقوبات البدنية (مثل الحدود/ بتر الأطراف). ترتبط هذه الآيات بفترة وسياق تاريخي معينين، أي الجزيرة العربية في القرن السابع. النوع الثالث من الآيات هي آيات محددة، ولكنها مع ذلك تحتوي على مبادئ كونية. الآية 34 من سورة النساء تنتمي لهذه الفئة من وجهة نظري؛ فهي تتعامل مع مسألة عائلية بطريقة تتوافق مع التوقعات النظام الأبوي السائد في الجزيرة العربية في القرن السابع. لكنها تحتوي على مبدأ كوني قابل للتطبيق في عصرنا - رغم أنه يحتاج إلى إعادة تفسير في السياق الحالي.

ز.م.ح: كيف يجب أن نقرأ الآية 34 من سورة النساء في سياقنا؟ وكيف تفهمين مفهوم القوامة في الآية؟ هل هو كوني أم خاص؟

أ.ل: مفهوم القوامة مشتق من المصطلح القرآني "قوامون" أو "قوامون" وليس مفهوماً سلطوياً. يظهر هذا المصطلح في الآية 34 من سورة النساء وفي آيتين أخريين فقط. في الآية 135 من سورة النساء «قوامين بالقسط» (الوقوف بحزم مع العدل)، وفي الآية 8 من سورة المائدة «قوامين لله شهداء بالقسط» (كونوا قوامين لله وتعاملوا بالعدل). في هاتين الآيتين، مفهوم القوامة عام وينطبق بالتساوي على كل من الرجال والنساء. يجب على كليهما تولي المسؤولية وأن يكونا صادقين وعادلين في التعامل مع شؤونهما الاجتماعية والسياسية. ولكن عندما تقول الآية 34 من سورة النساء «الرجال قوامون على النساء»، فإن القوامة هنا خاصة بالوحدة الأسرية. لماذا؟ حسناً، الآية تشرح ذلك - إذا كان بإمكانك اختزاله إلى أبسط المصطلحات وأكثرها عمومية - لأنه، في مرحلة معينة من الحياة الزوجية، تمر النساء بفترة ضعف، ويحملن الأطفال، ويضعن، ويرضعن. سيكون من غير العدل مطالبة أو توقع أن تكون المرأة نشطة أو منتجة بنسبة مائة بالمائة في مجالات أخرى، فالبعض يحتج إلى عامين إجازة أمومة لأداء مسؤولياتهن الجديدة. يتغير مفهوم الأسرة من سياق مجتمعي لآخر ولكن جوهرها - رجل وامرأة يجتمعان لإنجاب ذرية - يظل كما هو. وهذا هو السياق الذي تدخل فيه القوامة الزوجية حيز التنفيذ. أن تكون مسؤولاً وخاضعاً للمساءلة؛ القوامة هنا هي تكثيف الجهود والاعتناء بالزوجة خلال حالة ضعفها، والمفروض ربط المفهوم بالآيات الأخرى حول الزواج. في الآية 34 من سورة النساء يصف الله حقيقة تخص الوحدة الأسرية، بينما في الآيتين الأخرتين يأمر الرجال والنساء على حد سواء بالانخراط في النضال الاجتماعي السياسي من أجل الإنصاف والعدالة.

لا يمكننا اختيار آيات مثل الآية 34 من سورة النساء وهي خاصة، وإخراجها من سياقها، والادعاء بأنها لصالح أو ضد المرأة. نحن بحاجة إلى إجراء قراءة شمولية للقرآن؛ الآيات الأخرى لا تقل أهمية، مثل تلك المتعلقة بالخلافة (الإنسان كخليفة لله في الأرض) والولاية (الدعم المتبادل)، ويجب أن نقرأها بعيون جديدة. هذه الآيات جوهرية للمساواة بين الجنسين، وبالنسبة لي حاسمة لفهمنا للقوامة. لقد ولانا الله على هذه الخليقة وجعلنا مسؤولين عن حمايتها (الآية 30 من سورة البقرة)؛ لم يقتصر هذا على الرجال فقط، بل مُنح للجنسين معا ولا يمكن تحقيقه دون مشاركة كليهما.

رحلات نحو المساواة بين الجنسين في الإسلام

زيبا مير حسيني

أثناء تطريقي لهذا المفهوم، أدركت أنه لم تتم دراسته وبلورته بشكل واف. لقد نسينا أن البشر هم خلفاء الله في الأرض - وهي مسؤولية مشتركة بين الرجال والنساء لحماية ورعاية الأرض والخلق - وبدلاً من ذلك ركزنا انتباهنا على المؤسسة السياسية المقدسة للخلافة. الآية المتعلقة بالولاية (71 من سورة التوبة) واضحة تماماً؛ المؤمنات والمؤمنون بعضهم أولياء بعض، يحمون بعضهم بعضاً. الحماية هنا بمعنى الحديث النبوي الذي ينص على أن المؤمنين متحدين ومتضامنين مثل أعضاء الجسم المختلفة؛ إذا مرض أحدهم، تأزر الجسم كله حوله من خلال الحمى والأرق. وبالتالي يتآزر كلا الجنسين ويدعم بعضهما البعض. تبدأ الآية بصفات هؤلاء المؤمنين: يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر. ثم تنتقل إلى العبادة الشعائرية. وهنا نرى اعطاء الأولوية للنشاط الاجتماعي السياسي على الممارسة التعبدية. هناك امكانية قراءة أخرى وفقاً لسياقنا الحالي وهي قراءة المواطنة المتساوية.

ز.م.ح: من المدهش كيف تم فهم القوامة بمعزل وتفسيرها بطريقة ذكورية بحيث أصبحت المحور في النظام الأبوي الذكوري في السياقات الإسلامية. في الواقع، الآية 34 من سورة النساء هي الوحيدة التي يعرفها معظم المسلمين عندما يتعلق الأمر بالزواج، بعيداً تماماً عن الآيات القرآنية الأخرى.

أ.ل: نعم، وهذا ما يدعونا لقراءتها بمنظور جديد. عندها فقط سنستطيع أن نفهم أي مدى تنسجم فيه الرسالة الروحية للإسلام بشأن النوع الاجتماعي مع تطبيق المساواة والعدالة على أرض الواقع. لقد وضعت قائمة لجميع الآيات في القرآن التي لها علاقة بالزواج ووجدت الكثير من المفاهيم القرآنية الرائعة مثل السكينة والمودة والرحمة والمعروف والفضل، بمعنى اللحظات الثمينة التي يتشاركها الزوجان. يذكر القرآن أيضاً أن الرجال لباس للنساء، والنساء لباس للرجال. الامر يتعدى مجرد اللفة، فتصبح الروحان روحاً واحدة. [20]

التفسير الأبوي للقوامة مبني على ادعاء العلماء بتفوق/أفضلية الرجل على المرأة. يؤكد بعض الفقهاء أن الرجل يفقد هذه المرتبة بمجرد عدم قدرته على إعالة أسرته اقتصادياً، ويمكن للمرأة أن تكتسبها إذا كانت توفر الإعالة المالية. لذا فهو مفهوم مرن، وليس استعداداً بيولوجياً منحه الله للرجال دون النساء. يمكنني أن أستشهد بآيات أخرى حول المساواة بين الجنسين، بحيث بمجرد أخذها في الاعتبار، يصبح مفهوم القوامة المبالغ فيه سطحيًا وثنائويًا. هذا المفهوم لا يستحق أن يولى كل هذه الأهمية بل يجب أن يعطى مكانته المناسبة ويفسر في ضوء آيات أخرى أكثر أهمية.

هناك نقطة أخرى يجب أخذها بعين الاعتبار، وهي بحث أعتزم القيام به، وهو فحص جميع الآيات الموجهة إلى الرجال. ينحو الناس إلى نسيان أن القرآن نزل في سياق عربي ذكوري محض، ولا تزال بقاياه نشهدنا ونختبرها حتى يومنا هذا. نظراً إلى هذه الخلفية المعينة، كان على القرآن أن يخاطب الرجال في البداية. هناك آية 1 من سورة الطلاق تخاطب الرجال بهذا الشأن وتقول: "لا تخرجوهن من بيوتهن". لم يقل بيوتكم. يشير القرآن إلى بيت المرأة ويقر بأن البيت بعد الزواج ملك للمرأة. سيكون جديراً بالاهتمام مراجعة الآيات التي تخاطب الرجال تحديداً وتوبخهم، مثلاً حين يأمر القرآن الرجال بمعاملة النساء بالإحسان، أو أن يتصرفوا في علاقاتهم بزوجاتهم وفقاً للمعروف (آية 2 من سورة البقرة).

المعروف هو مفهوم مهم في القرآن يلتقط روح العصر ويتأقلم مع ما تعتبره المجتمعات الأنسب والافضل لمجتمع معين في وقت وسياق معينين. على سبيل المثال، يمكن القول إن مفهوم حقوق الإنسان يعتبر حالياً من المعروف، فمعظم الناس يؤمنون بأهميته في عصرنا. في الحقيقة، ارسال الوحي إلى بيئة الجزيرة العربية في القرن السابع، في خطاب موجه في الغالب الى الرجال، يحثهم بالتصرف في حدود المعروف، يشكل في حد ذاته حجة بارزة للمساواة بين الجنسين.

ز.م.ح: لكن السؤال هو ما إذا كان مفهوم المساواة كما نفهمه اليوم هو نفسه الذي تجدينه في القرآن.

أ.ل: أفهم ما تعنيه. هل المساواة، كما نفهمها في القرن الحادي والعشرين، هي نفسها التي ورد وصفها في القرآن؟ بالطبع لا! المساواة هي في الواقع مفهوم متغير، كما هو الحال بالنسبة لجميع المفاهيم الإنسانية. لكنني أعتقد أن القرآن يمنح سعة ومرونة.

رحلات نحو المساواة بين الجنسين في الإسلام

زيبا مير حسيني

وهذا هو بالضبط سبب قولنا إن القيم القرآنية كونية. فهي مبنية بشكل يمكن ويخول لأشخاص مثلي من استخدام تلك القيم. هناك آيات قرآنية تتحدث بوضوح عن النصيب المتساوي للمرأة والرجل في الحياة العامة. على سبيل المثال، الآية 71 من سورة التوبة: "والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله." لدينا أيضًا الآية 14 من سورة يونس حول الإنسان كخليفة لله في الأرض، وهو امتياز لكل من الذكور والإناث. الآية 189 من سورة الاعراف (حول مفهوم النفس الواحدة) والآية 35 من سورة الاحزاب (حول نداء القرآن المساواتي للرجال والنساء) يحدثنا فيهما الله عن جميع جوانب المساواة. هذه الآيات تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتحث على اقامة الصلاة وابتاء الزكاة وطاعة الله ورسوله. ومع ذلك، يتم تفسيرها على أنها تشير فقط إلى المساواة الروحانية، دون الجوانب الأخرى. فبالنسبة لفقهاءنا، هنالك مساواة على المستوى الوجودي الانطولوجي وللمساواة على المستوى الحقوقي والمجتمعي. هذا غير منطقي. كيف لي، كامرأة، أن أكون متساوية مع الرجل في الروحانيات لا غير؟ كيف نسعى إلى الجنة؟ بالتأكيد ليس فقط من خلال التزامنا بالواجبات الشعائرية؛ هناك أيضًا مشاركتنا بالأعمال الصالحة في المجتمع الإنساني، والتي لا تتحقق إلا في وجود حقوق معينة. من الواضح أن التأويلات انحرفت عن جوهر القرآن.

بالتأكيد، ليس مفهوم المساواة في القرآن مثل المساواة المعلنة في المؤتمرات والمعاهدات الدولية. لكن القرآن يعطينا إطارًا لاستيعاب هذا المفهوم. هذا هو دورنا الحاسم كمسلمين: تفسير النص والاجتهاد وفقًا للسياق، وإلا فلن نتمكن من تطوير الرسالة الروحية للإسلام. أعتقد أن القيم الكونية للإسلام تتقارب من مبادئ تلك المعاهدات. كلما قرأت القرآن أكثر، كلما احسست بأن العدل يمثل جوهره. يكرم الإنسان في الكتاب كله دون أي تمييز مبني على الجنس أو العرق أو القومية أو الدين. تشير أكثر من تسعين في المائة من القرآن إلى الإنسان، ممهدًا الطريق للأفعال والسلوكيات السليمة. هذه قضية محورية للغاية لدرجة أنها تتطلب منا التفكير في مفهوم الإنسان، لأن القرآن لا يتناول فكرة وضع الرجل أو وضع المرأة، فهذا مفهوم حديث نسبيًا. بل يشار إلى الرجال والنساء بصفتهن "إنسان" أو كأعضاء في مجموعة.

يقول القرآن: "إن أكرمكم عند الله أتقاكم" (الآية 13 من سورة الحجرات). يفسر العلماء التقوى على أنها الخوف من الله، ويحصرونها في الممارسة الشعائرية. لكنها أعمق بكثير: إنها المعرفة والإيمان والمثابرة. هناك رواية مهمة عن الخليفة عمر يسأل عالما كبيرا: "ما هي التقوى؟" يجيب العالم: "يا عمر، إذا كنت تمشي في طريق مزروع بالشوك، فماذا ستفعل؟" يقول عمر إنه سيرفع ثوبه، ويكون حذرًا ويكافح (يجتهد) لتجنب أشواكه. يقول العالم: "حسنًا، هذه هي التقوى." فالتقوى إذن هي الاجتهاد، والحياة هي المثابرة، والنضال (الجهاد). هكذا أفهم التقوى: بالنسبة لي تعني الاستقامة الأخلاقية والنزاهة في سلوكيات المرء. إنها ليست فقط بالصلاة طوال الوقت وقضاء اليوم في انتظار الأذان. هذا جيد أيضًا، ولكنه ليس كافيًا.

في أوائل كانون الأول (ديسمبر) 2010، ذهبت إلى الرباط لحضور مؤتمر آخر. مكثت بضعة أيام أخرى لبحث إمكانية عقد ورشة عمل "مساواة" الأولى حول القوامة والولاية في الرباط. لكننا لم نتمكن من العثور على منظمة نسائية مغربية مستعدة لاستضافة مثل هذا الاجتماع. كان هناك تردد وخصوصًا شك في "النسوية الإسلامية". التقيت أيضًا بأسماء، ودعوتها لكتابة ورقة خلفية لمشروعنا. في اليوم الأخير من إقامتي، اتصلت بي دوريس غراي لتخبرني أن فاطمة المريني تريد رؤيتي. كنت فقدت الاتصال بها، لكنني عرفت أنها لم تعد تبحث في قضايا المرأة. ذهبت لرؤيتها في منزلها، وأخذت معي مجموعة مختارة من منشورات ومؤلفات "مساواة". كانت فاطمة لا تزال مفعمة بالطاقة والمشاريع، تربط بين الناس، وتحثني أن أقوم بعمل تشاركي في المغرب حول الإسلام والمرأة، وأن منظمة "مساواة" يجب أن تأتي إلى المغرب. عندما أخبرتها عن نفور المنظمات النسائية عن استضافة اجتماع معنا، قالت: "انذهبي وتحديثي مع أسماء لمرابط - إنها رائعة، اقرأها كتبها." قلت: "أنا أعرفها وكتبها، وستكتب ورقة لمشروع "مساواة"؛ إنها من معجباتك!" طلبت مني المريني الاتصال بها على الفور، وهو ما فعلته. هكذا التقيت لأول مرة، مما أفضى إلى صداقة عميقة.

عند زيارتي التالية للرباط، كانتا تعملان معًا وشكلتا مجموعة دراسية يجتمع فيها بشكل شهري الكتاب والباحثون والمفكرون ذوو التوجهات المختلفة لتبادل أعمالهم. سميت المجموعة "العيش معًا"، وفي تشرين الثاني (نوفمبر) 2013، تمت دعوتنا أنا وزينة أنور للحديث عن عملنا في "مساواة". كانت المرابط آنذاك قد شاركت في اجتماعاتنا، بالإضافة إلى المساهمة بورقة خلفية لمشروعنا.

رحلات نحو المساواة بين الجنسين في الإسلام

زيبا مير حسيني

كنا في الرباط لحضور اجتماع تشاوري نظمته "مساواة" مع مركز الدراسات النسائية للرابطة. كانت الفكرة وراء هذا الاجتماع هي أن نقدم استنتاجاتنا حول مبادرة بناء المعرفة بخصوص القوامة والولاية، وأن نبدأ حوارًا بناءً مع علماء الدين. غير أن ذلك لم يحدث. انضم إلى الاجتماع عالمان دينيان فقط من الرابطة. أولئك الذين تواصلنا معهم من الأزهر في مصر اشترطوا فندقًا بخمس نجوم والسفر جواً في درجة رجال الأعمال، وهي شروط لم تكن في امكانياتنا وكانت مخالفة لمبادئنا. استقبلنا في الآخر شيخاً أوصى به أصدقاء مصريون سمعوه في التلفزيون وبدا لهم تقديمًا. حضر الجلسة الافتتاحية في الصباح، وما أن أدرك أن عرضه كان مقررًا لليوم الثاني تدمر واختفى طوال اليوم: علمنا أنه ذهب للتسوق لزوجته! عاد في اليوم الثاني لتقديم ورقته، والتي كانت في الأساس هجومًا على منظمة "مساواة". قال لنا بصوت عالٍ إننا لسنا مؤهلين للحديث عن الإسلام، وإذا أردنا فهم مفاهيم الشريعة، كان يجب أن نلجأ إلى الأزهر... عندما انتهى، توجه إلى حيث كنت أنا وزينة جالستين، وألقى ورقته على الطاولة أمامنا، وخرج من القاعة. قلت: "هذا أداء للقوامة!" صدم الجميع في القاعة، وشعر أصدقاؤنا المصريون بالغضب والخجل. تقدم الاستاذ العبادي ببعض الكلمات الاسترضائية. كان هذا الاجتماع الأول والأخير الذي نظمناه مع مركز الدراسات النسائية بالرابطة ولكن كان اجتماعًا ناجحًا أثمر إلى نشر كتاب باللغة العربية حول الممارسات [21] بالإضافة إلى ترجمة المداخلات التي قدمتها "مساواة"، واستطلاع للرأي العام وتصوراتها عن القوامة والولاية. [22]

تطور العلاقة مع الحجاب والخمار والرابطة

سافرت من جديد إلى الرباط في منتصف تشرين الثاني (نوفمبر) 2014، هذه المرة مع زينة أنور، لحضور ندوة دولية نظمتها الرابطة حول "المرأة في الأديان التوحيدية". آنذاك، كانت أسماء لمرابط قد أصبحت شخصية عامة وكانت مداخلاتها غالبًا ما تثير الجدل وتلقى تغطية صحافية وطنية - كان آخرها عن الحجاب واختلاط الجنسين في المساجد. بعد المؤتمر، مكثت بضعة أيام إضافية لتسجيل محادثة أخرى مع أسماء في منزلها في 16 تشرين الثاني (نوفمبر) 2014. هذه المرة تحدثنا عن تغير موقفها بشأن الحجاب وعن اشكالية علاقتها مع العلماء في الرابطة.

ز.م.ح: عندما تحدثنا سنة 2010، كنت تريد كتابة مقال عن الفرق بين "الحجاب" والخمار. أتساءل عما إذا كنت قد كتبت هذا المقال. أود أيضًا بعض التوضيحات حول ما تعنيه بالخمار.

أ.ل: نعم، إنه متاح الآن باللغة الإنجليزية، على موقعي على الإنترنت، وهو بعنوان: "كيف يتناول القرآن مسألة حجاب المرأة المسلمة" [23]. لدي مقال آخر انتقد فيه كلا من الرؤية الاستعمارية والرؤية التقليدية في الإسلام للحجاب، وأدعو إلى "رؤية ديكلونالية". وهناك انتقد كلا الجانبين، وتركيزهما الكامل على الحجاب، والتركيز على السيطرة على جسد المرأة كقاسم مشترك لهاتين الرؤيتين [24].

مصطلح الخمار في القرآن يعني غطاء الرأس. كما أقول في المقال الأول، إذا كان هناك مصطلح يشير إلى هذا الذي المفترض للمرأة، فهو الخمار، والقرآن صريح بشأنه. نرى في التفاسير أن الرجال يرتدون الخمار أيضًا، ويغطون رؤوسهم. في عدد من الأحاديث النبوية يشار إلى خمار الرجال فهو ليس فقط للنساء وإنما للرجال أيضًا. لكن في نظري، الخمار ليس مهمًا، ليس هو الهدف. بل الجوهر هو أمر القرآن بالاحتشام الداخلي والخارجي والحياء في السلوكيات. هناك آية تلخص ما يريد الله: "وَلِيَأْسَ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ حَيْرٌ" [25] هذا يلخص ما يريد الله منا في هذا الموضوع. النقاش حول الحجاب والخمار متقادم. هذه الآية بالنسبة لي كافية. وهو ليس فرضًا على الإطلاق - وانتقادي يخص الرؤية السياسية للإسلام.

اعترف لك أنني انخدعت أيضًا ولكني الآن أتحمّل مسؤولية ارتدائه. أعطي شعري في تضامن، ضد الإسلاموفوبيا، وليس كهوية للمرأة المسلمة. لا يتعلق الأمر بالروحانية أو القناعة. لم تعد لدي هذه القناعة على الإطلاق على مدى السنوات الثلاث الماضية؛ أنا الآن مقتنعة بأنه كان نوعًا من الخداع منذ البداية. عندما تقرأ كتب التفاسير، فإن الحجاب يتعلق بالفصل/العزل. يوجد حديث أو حديثان يشيران إلى نساء يرتدين الخمار، إلا أنهما لا يذكران الزامية ارتدائه. لا يوجد نقاش ولا حوار حول معنى الحجاب كغطاء. بحلول الاستعمار وخطاب الإسلام السياسي، أصبحت الزامية ارتداء الحجاب تنتشر.

[21] نادية الشرقاوي وبشرى الغزالي، مبادرة تعميق وتأسيس المعرفة بمفهوم القوامة والولاية. مركز الدراسات والبحوث في القضايا النسائية في الإسلام - الرابطة المحمدية للعلماء. 2014

[22] تم تمويل هذا المشروع جزئيًا من قبل هيئة الأمم المتحدة للمرأة، وقادته عائشة الحجامي ومليكة بنراضي

[23] <http://www.asma-lamrabet.com/articles/how-does-the-qur-an-address-the-issue-of-muslim-women-s-veil-or-hijab>

[24] <http://www.asma-lamrabet.com/articles/muslim-women-s-veil-or-hijab-between-a-colonial-ideology-and-a-traditionalist-islamic-ideology-a-decolonial-vision>

[25] سورة الأعراف، آية 26.

رحلات نحو المساواة بين الجنسين في الإسلام

زيبا مير حسيني

لم؟ لأن الحجاب أصبح رمزا للهوية الاسلامية. وبالتالي كلما ارتدت النساء الحجاب، كلما برز تكاثر الإسلام بشكل واضح. أعتقد الآن أن الإسلام السياسي استغل ضعفنا كنساء. يقول اغلبية العلماء أيضًا أن ما يسمى بـ "الحجاب" للنساء هو فريضة. لم أكن مقتنعة بأنه كان واجبًا، ولكن عندما سمعت ذلك من العلماء - وفي العالم العربي نتعامل مع ما يقوله العلماء على أنه مقدس - تصورت "أنهم يعرفون أفضل مني". لكن عندما قرأت الآيات، رأيت "أنه ليس حجابًا بل خمارًا، وربما أمرني الله أن ارتديه، لذلك أفعل ذلك من أجل الله." كان تبريري كالتالي: "أنا أفعل ذلك من أجل الله، ليس من أجل الرجال، لذا فهو ليس خضوعًا انما روحانية." لكنني أدركت تدريجيًا مدى ضعف هذا التبرير. بداخلي صوت يقول: "هذا عبث. الله لا ينتظر مني أن ارتدي الخمار."

ز.م.ح: بالطبع! لم سيكثر الله بتغطيتنا لشعرنا؟

أ.ل: لقد شعرت بالذهول عندما قرأت ما قاله عمر بن الخطاب أنه لا يجوز للإمام ارتداء الخمار لتغطية رؤوسهن. هذا تمييز يقوم ليس على أساس الجنس انما على أساس الوضع الاجتماعي. هذا يتعارض مع العدالة التي تحبيني في الله وفي القرآن. ومن ثم هذا هو خطابي حاليا عن الحجاب. لقد صرحت بذلك علنًا لأول مرة في العام الماضي، وتداولته جميع الصحف في المغرب: أسماء لمرابط تقول إن الحجاب ليس فرضًا وليس ركنًا من أركان الإسلام.

قمت بذلك لأنني قلت لنفسي "يا أسماء، أنت لست منافقة". لم أكن قط منافقة، أبدًا. عندما بدأت ارتداء الحجاب، كنت موقنة أن هذا ما يريد الله منا نحن النساء. كنت مقتنعة حينئذ، ولكن لم أعد كذلك. أقول علنًا أنني لا أؤمن به، لكنني ارتديه وبالتالي أعتقد أنني أمنح النساء الخيار، من خلال تحريرهن من الشعور بالذنب المترسخ فينا جميعًا. فلو كانت امرأة لا ترتدي غطاء الرأس هي من تقول انه ليس إلزاميًا، سيتهمها الجميع بانها "متأثرة بالغرب"، وليست مسلمة حقيقية! ولكن عندما أقول إنه ليس فرضًا، وليس ركنًا من أركان الإسلام، ومع ذلك ارتديه - فالواقع اهم. عندما قلت كل هذا علنًا في حزيران (يونيو) [2013] في مؤتمر جامعي في الرباط، تسبب ذلك في ضجة كبيرة. في اليوم التالي، كتب عني في جميع الصحف، ولمدة شهر تلقيت إهانات يومية على الإنترنت. لا تزال متاحة على [26] HESPRESS - إذا بحثت عن اسمي باللغة العربية في Google، فيمكنك رؤيتها جميعًا.

إن ملاحظتي هذه عن الحجاب، وملاحظة أخرى قلت فيها أنه لا ينبغي فصل الرجال والنساء في المساجد، تسببتا في شهرتي - وليس كتبي! خلال جلسة نقاشية في مؤتمر كبير في الرباط، قلت إنه لا يوجد فصل بين الجنسين في الإسلام، وأنه في عهد النبي كان الرجال والنساء يصلون معًا في نفس المكان. نشر ذلك في مجلة [27] Telquel، ثم حوله السلفيون إلى: "أسماء لمرابط تريد وضع ديسكو في المساجد". تمت طباعة ذلك على لافتات وملصقات في جميع أنحاء الرباط. كانت الرابطة في ورطة كبيرة، لذلك كتب السيد العبادي - حق الرد - شيئًا مفاده أن ما قلته عن الصلوات المختلطة في عهد النبي صحيح، وهو موجود في الحديث. من ايجابيات الانتماء الى الرابطة هي ان يحمونك أيضًا!

ز.م.ح: بالمناسبة، انتقدت النسويات العلمانيات خطابك أيضًا؛ ما الذي يحدث على هذه الجبهة؟

أ.ل: منذ الضجة بشأن موقفي بصد الحجاب والمساجد المختلطة، بدأ العلمانيون يقرؤون أعمالتي. بالنسبة للإسلاميين، أصبحت غامضة - ويتساءلون عن موقفي الحقيقي. ولكن مع العلمانيات والناشطات في المجتمع المدني، لا يمكنك أن تتخيلي كم أنا مطلوبة. الكل يريدوني في اجتماعاتهم. لكنني أشعر أن هناك عنصرًا من الاستغلال، ويراد استخدام خطابي لأغراض سياسية ضد الإسلاميين، وهذا ليس هدفي، ولا مصلحة لي فيه. كل ما أريده هو مجتمعًا سليمًا، وعدلا في المجتمع. لا أريد أن أكون لا مع الإسلاميين ولا مع العلمانيين.

ز.م.ح: ولكن كيف يمكنك تجنب ذلك؟ الأمر ليس بيدك، ليس لديك سيطرة عليه.

رحلات نحو المساواة بين الجنسين في الإسلام

زيبا مير حسيني

أ.ل: بأن أكون ما أنا عليه، انسانية مستقلة؛ من خلال قول الحق للجميع. لدي نفس الخطاب، زبية. لدي نفس الخطاب عندما أكون مع العلماء/الفقهاء أو مع العلمانيين. أنا لا أغير خطابي. بالطبع، أستخدم لغة مختلفة... ولكن المعنى، والتداعيات المترتبة عن خطابي هي نفسها. أبذل قصارى جهدي لأكون صادقة مع نفسي. هكذا أتعامل مع الوضع، وان كان ليس مثاليًا.

ز.م.ح: ولكن يا أسماء، ما تفعيله هو أمر سياسي للغاية، ليس بمعنى أن تكوني جزءًا من حزب سياسي، ولكن من حيث تأثيره ووقعه.

أ.ل: نعم، نعم، كل ما نفعه هو سياسي، فالنضال من أجل العدل في المجتمع هو أمر سياسي، ولكنه ليس من منظور أو موقف أيديولوجي معين [سواء كان إسلاميًا أو علمانيًا].

ز.م.ح: عندما تحدثنا في وقت سابق، كنت قد بدأتِ تعاونك مع الرابطة. وعندما تم إنشاء مركز الدراسات النسائية، كان المكتب يتواجد في مكان مختلف، ولكنه انتقل الآن إلى هذا المبنى الجميل الذي هو مقر الرابطة. كيف هو العمل في مؤسسة دينية، وما هي علاقتك بالعلماء هناك؟

أ.ل: كنت أعمل بشكل تطوعي، وكان هذا شرطي منذ البداية. لا علاقة لي بالعلماء، باستثناء اثنين أو ثلاثة من المديرين ذوي عقلية متفتحة، وحضروا أيضًا الندوة مع "مساواة" [سنة 2013]. المركز منفصل، لا ألتقي بالغير ولا أحضر أي اجتماعات مع العلماء. أذهب إلى مكتبي بعد الظهر يومين في الأسبوع، في أغلب الأحيان لإجراء المقابلات ومقابلة الزوار. صلتني بالرابطة تكمن فقط عبر السيد العبادي، غير ذلك فانا مهمشة، إنهم يهملونني. ولكن بالنسبة لي، هذه ليست مشكلة، فأنا لست مهتمة بالانخراط.

نشرت الترجمة العربية لكتاب "القرآن والنساء" في عام 2010، كأول نتاج لمركز الدراسات النسائية الذي تم إنشاؤه حديثًا في الرابطة. لكن نسخ الكتاب لم تصل أبدًا إلى المكتبات في المغرب. بقيت في المركز وتم إهداؤها للزوار الأجانب. أخبرتني أسماء أن هذا كان بسبب المعارضة الشرسة من علماء الرابطة، الذين لاحظوا أن الكتاب لا يفي بمعاييرهم "العلمية".

ز.م.ح: بالمناسبة، هل اكتشفتِ قط سبب حظر اللجنة التنفيذية للرابطة توزيع الترجمة العربية لكتاب "القرآن والنساء"؟ ما هي اعتراضاتهم؟

أ.ل: كان الأمر سخيًا، ولا علاقة له حقًا بجوهر نقاشي. اعترف لي الدكتور العبادي بذلك وكان قد كتب مقدمة للكتاب. عقد اجتماعًا معهم [علماء الرابطة] وسأل ما هي مشكلة الكتاب؟ أجابوه: سنرسل لك جميع تفسيراتنا. قدموا لائحة تضم عشرين اعتراضًا، منهما اثنان وجيهان يتعلقان بمواضيع تاريخية، والباقي أخطاء نحوية ارتكبتها المترجمون! استمر السيد العبادي في التحقيق، لأنه كان قد قرأ الكتاب للتحقق من دقة المصطلحات الفقهية، والإحالات إلى الأحاديث، وما إلى ذلك. في الأخير، قال أحدهم: "هذه المرأة طيبة، وليست عالمة/فقيهة، ولم يتم تدريبها في دوراتنا الدراسية. إنها تقوم بتفسيرها الخاص، ونحن كعلماء لا نريد هذا."

ز.م.ح: هذه هي الاشكالية: إذا تم تدريب امرأة في مؤسسة دينية لتصبح عالمة/فقيهة، فلن يُسمح لها بإنتاج شيء مثل كتابك، لأن هيكلة وثقافة التعليم هناك لا تسمح بطرح أسئلة جديدة، والتفكير (خارج الصندوق) بطريقة خارجة عن المألوف. منطق ومنهجية الدراسات الإصلاحية والنسوية في الإسلام، غير مسموح بها في مراكز التعلم الديني. إنها مسألة سلطة، من يتحدث عن وباسم الإسلام.

أ.ل: هناك أيضًا مسألة اللغة. كتبي باللغة الفرنسية لا تطرح إشكالات لأنهم يعرفون أنها محدودة الانتشار ولكن عندما تكتب باللغة العربية، ومن داخل المؤسسة، فهذا أمر خطير حقًا.

سأحكي لك قصة. في حزيران (يونيو) الماضي [2014]، نظم العبادي ندوة دولية حول القرآن والرؤية الكونية - تمت دعوة أشخاص من الولايات المتحدة وأوروبا، وكذلك من الرابطة، وجاء علماء من جميع أنحاء المغرب.

رحلات نحو المساواة بين الجنسين في الإسلام

زيبا مير حسيني

أصر على أن أقدم ورقة حول القرآن والمرأة. قبلت على مضض وأعددت ورقة باللغة العربية. لم أكن "متمردة" كعادتي حين أتحدث في المؤتمرات الأكاديمية أو الفضاءات العلمانية، ليس لعدم ايقاني بحججي، ولكن لأنني أردت تفادي أي صراع مع الفقهاء. كانت مداخلتني تتحدث بشكل أساسي عن الرؤية الشمولية للقرآن باعتباره مساواتيًا، وأنا لا يمكننا رفض المساواة بين الرجال والنساء، لأن القرآن يركز على المساواة الكونية. ولتعزيز فكري، استشهدت ببعض الآيات.

لم أحضر اليوم الافتتاحي، واعتقدت أنه نظرًا لكونه اجتماعًا دوليًا، فلن يحضره سوى مجموعة مختارة فقط من علماء الرابطة - ذوي العقول المتفتحة على غرار الذين حضروا ورشة عمل "مساواة" - عندما وصلت لحضور جلستي في اليوم الثاني، رأيت كل هؤلاء الفقهاء المغاربة التقليديين (الذين يرتدون الجلابيب). كان في الجمهور ستة أو سبعة فقط أشخاص «دوليين»، والباقي من المغرب: فقهاء الدار البيضاء وأغادير ومراكش... ارتابني القلق ولكن ليس على نفسي، بل خفت ألا يفهموني وأتسبب في احراج للدكتور العبادي. لذلك اتصلت به وقلت إنني لم أكن أعرف أن كل هؤلاء الفقهاء المغاربة سيحضرون، وأن خطابي ليس موجهًا لهم وربما يصددهم. قال: "لا بأس" - (انت تعرفين طبع العبادي). "كوني حذرة فقط، ومن فضلك لا تقولي كل شيء في ورقتك" [عن آرائها حول المساواة بين الجنسين في القرآن]. قلت: "لا، اما أقدم هذه المداخلة بطريقتي أو لا أقدم الورقة." سألت عما إذا كان سيتحمل المسؤولية، وأجاب: "نعم، سأفعل". كنا ستة في الجلسة. رئيس الجلسة كان تونسيًا، والباقي نساء: مصرية، سودانية، وعالمتان مغربيتان (فقيهات)، وأنا. كنت آخر من قدم مداخلة. قرأت من نصي، الذي كان واضحًا جدًا، في خمسة عشرة دقيقة. عندما انتهت الجلسة، تخيلي زيبة، كانت جميع الأسئلة موجهة إلي، وكلها طرحت من طرف الفقهاء. أخبرني أصدقائي في الجمهور لاحقًا أن الجو كان مشدودًا للغاية أثناء مداخلتني. وقال أحدهم إن المناقشة كانت أشبه باستنطاق [28]. شعرت بذلك أيضًا، كما لو كنت أحاكم بتهمة التكفير [29].

كانت أسئلتهم ساخرة، وأرادوا اهانتني. قال أول المتدخلين بلغة عربية منمقة: "أشعر بوجود الشيطان. هذا الشيطان يريدنا أن نكون غربيين، ويريدنا أن ندمر تقاليدنا وماضيينا وعصرنا الذهبي." لم يذكر اسمي، لكنني عرفت أنه كان موجهًا لي، لأن العروض الأخرى في اللجنة كانت تقليدية - فالفقيهتان المغربيتان تحدثتا عن السماء والجنة، وأن الإسلام يكرم المرأة وكل شيء على ما يرام. قال آخر متدخل: "دكتورة أسماء لمرابط، نحترمك، ولكن هذه ليست وظيفتك. أنت طبيبة. أنا فقيه، فما رأيك إذا كتبت غدًا كتابًا عن السرطان؟ ما هو جوابك لي؟ عندما تتحدثين عن المساواة، هل نريد في مجتمعنا، مسلمين مغاربة مثليين؟" هكذا بكل بساطة.

يا ليتك كنت هناك يا زيبة، لقد كان الأمر مهزلة كبرى! كان الرئيس يمرر لي ملاحظات باللغة العربية: "قاومي، كوني صبورة، هذه عقلية متعجرفة، كوني قوية فقط." تعلمين، هؤلاء الرجال ليس لديهم الشجاعة لدعمنا علنًا.

ثم قال فقيه آخر: "سنسأل السيدة، لا، الدكتورة لمرابط، التي تتحدث عن المساواة في القرآن، هل قرأت آية القوامة في القرآن؟ هل تعرفين ماذا تعني القوامة؟ ربما هي ليست على دراية بهذه الآية في القرآن." ففقهه الفقهاء كلهم ومضى يقول: "أنا متأكد من أنك لا تعرفين ما هي القوامة. لهذا السبب أنت تتحدثين عن المساواة." في تلك اللحظة، كان الدكتور العبادي متوترًا وطلب إنهاء الجلسة، لكنني أصرت على طلب مزيد من الوقت. قلت لنفسي: "يا أسماء، لديك خياران. إما أن تصمتي، ولكن بعد ذلك تكونين قد انتهيت كأسماء لمرابط. أو أن تجيبيهم." أعطاني خمس دقائق. أجبت وعبرت عن كل ما في قلبي. قلت: "ربما تحترموني ولكنني أحترمكم أكثر، لأنني أقدر عملكم ولكنكم ترفضون تقدير عملي."

سأخبركم لماذا. لأنني أعرف واقع سياقي، لكنكم عميان عنه. قد تعرفون النص، لكنكم لا تعرفون السياق. أنتم لستم فقهاء حقيقيين كما كان الفقهاء في الماضي. أولئك العلماء كانوا يعرفون النص والسياق ويتعاملون مع كليهما. قد تعرفون كل الآيات. أنتم تحفظون القرآن ولكنكم لا تفقهون معنى القرآن. أنتم لا تريدون الاعتراف بأن مجتمعنا قد تغير، وتطور. سأرد على سؤال القوامة. ربما ليس لدينا نفس التفسير، ولكن استمعوا إلى ما تعنيه الكلمة في القرآن بالنسبة لي. "ثم استعرضت الآية كلمة كلمة." "الرجال قوامون على النساء" ليست سلطة، بل هي مسؤولية. لماذا؟

رحلات نحو المساواة بين الجنسين في الإسلام

زيبا مير حسيني

استمعوا إلى بقية الآية التي تقول: "بما فضل الله بعضهم على بعض"؛ لا يوجد رجل وامرأة في هذه العبارة. هذه الجملة بأكملها تدور حول المسؤولية الاقتصادية. الفضل في هذه الآية يذهب إلى أولئك الذين ينفقون من أموالهم. هل تظنون أن الفضل هنا يدل على تفوق الرجال على النساء؟ هل هناك أي آيات في القرآن تقول إن الرجال متفوقون على النساء؟ حسناً، أنا جاهلة بالقرآن، وأنتم علماء النص، لذا يرجى إعطائي آية واحدة تقول إن الرجل متفوق على المرأة. واحدة فقط. أرجو الاجابة. "استطردت: "الفضل بالنسبة لي يكمن في ثلاثة مفاهيم. الأول هو التقوى، الوعي بالله، كما في "إن أكرمكم عند الله أتقاكم" [30]. الثاني هو العلم: "قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون؟" [31] والثالث هو الأعمال الصالحة: "من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى." [32] هذا هو العمل من قبل الرجال والنساء. هل أنا مخطئة؟ أريد أن أتعلم منكم. ربما أكون مخطئة، فقط يرجى تصحيحي." نهض أحدهم وقال: "يقول القرآن ليس الذكر كالأنثى، وهذه الآية تقول إن الرجل يختلف عن المرأة، فهو متفوق." [33] قلت: "لا، أنت مخطئ، اعذرني. ربما يمكن للعلماء الآخرين تصحيحك. في هذه الآية، تتحدث أم مريم إلى الله، وتشكو من أن طفلها كان فتاة وهي كانت تريد صبياً، حتى تهبه إلى المعبد. كانت تشتكي إلى الله، لأن المعبد لم يسمح لها بالوفاء بنذرها."

ز.م.ح: هذه الآية تقول ببساطة أن الرجل والمرأة مختلفان. من المضحك أنه دائماً ما يتم الاستدلال بهذه الآية والآية 34 من سورة النساء لدعم تفوق الرجال.

أ.ل: نعم، نعم، أخبرتهم بكل هذا. قلت: أعطوني آية واحدة تدل على تفوق الذكور. لم يقولوا شيئاً. لم يصفق أحد. عندما انتهت الجلسة، قال لي الرئيس: "أنت مدهشة." وددت أن أسأله "ولم لم تقل شيئاً؟" لم أستطع، لكنه أحس بذلك، لأنه تابع قائلاً: "كما تعلمين، هؤلاء هم الفقهاء. لا يمكننا التحدث معهم". وقالت السيدتان في اللجنة أيضاً: "أستاذة... لقد كنت رائعة." قلت: "لماذا لم تتحدثن؟ أنتما فقيهتان، تحملان شهادات دكتوراه في الفقه والشريعة، لماذا لم تؤيداني؟" لأنهن خائفتين على مناصبهن كفقيهات.

ز.م.ح: نعم، بالطبع، فهن يعملن في مؤسسة دينية. وهنا درس لنا. لكي نكون قادرات على التحدي، نحتاج أولاً إلى بناء مؤهلاتنا، وقاعدة قوتنا، من خارج هذه المراكز التعليمية الدينية. بمجرد وجودك داخل هذه المؤسسات، لا مجال لأية معارضة ولا يمكن أن يكون لك صوت. تعلمت هذا الدرس منذ مدة خلال فترة أبحاثي في مدينة قم.

أ.ل: بعد الندوة، قدم الي اشخاص من الجمهور لإظهار احترامهم أو دعمهم، لكنني تمنيت لو كانت لهم الجرأة الكافية لدعمي حين تعرضت للهجوم أمام الملأ، بدلاً من الاختباء والاقتراب مني بعد ذلك، على هامش الحدث. أردت أن أخبرك بهذه القصة، لأنها كانت تجربة غيرت حياتي. لقد مكنتني من التخلص من أي خوف من مواجهة الفقهاء. لن أنسى ذلك اليوم أبداً. لقد كانت تجربة إيجابية جداً بالنسبة لي، لكنني تأثرت كثيراً بسبب ما حدث ومرضت لمدة يومين.

ز.م.ح: أسماء، ما الذي أعطاك الشجاعة والجرأة للوقوف في وجه هؤلاء العلماء ذاك اليوم؟ أعرف جيداً أنه ليس بالأمر السهل!

أ.ل: قناعتي الراسخة بأن الله ليس ظالماً. الله عدل. في ذات اللحظة كان الأمر سهلاً إلا أنه أصبح صعباً لاحقاً. في تلك اللحظة، كنت متأكدة من أنهم كانوا مخطئين، وأنهم يمارسون التمييز ضد المرأة، لكن الله أعطاني القوة.

ز.م.ح: هم خائفون أيضاً، ويتحدثون من موقع الخوف.

أ.ل: نعم، شعرت بهذا الخوف. إنهم ليسوا أشراراً، إنهم طيبون جداً عندما تتحدث إليهم. ففي النهاية، معظمهم آباء لبنات، ويحرصون على رعايتهن، واهتمامهم واضح في محادثاتهم، ولكن شعورهم بالغرور وتملك النص طاغ. إنهم يرونه الشيء الوحيد الذي يمتلكونه، فهو يحدد هويتهم وسلطتهم، وهو مقدس بالنسبة لهم، وبالتالي فهم يخشون أن تهدم وجهات نظري مؤسستهم المقدسة.

[30] سورة الحجرات، آية 13.

[31] سورة الزمر، آية 9.

[32] سورة النحل، آية 97.

[34] سورة آل عمران، آية 36.

رحلات نحو المساواة بين الجنسين في الإسلام

زيبا مير حسيني

ولكن معرفتهم بالنص سطحية. كل حججهم تأتي من أحاديث ضعيفة أو أسوء تأويلها. قال هذا العالم ذلك، وقال ذلك الشيخ هذا، وقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا في الحديث. لقد أغلقوا الباب على القرآن ويعتمدون على التفسير. عندما يكون لديك رؤية شمولية للنص وتستوعب معانيه النصية والسياقية، فمن المستحيل أن تستنتج أن هناك تمييزًا. إنني أدرس القرآن والتفسير منذ أكثر من عشرين عامًا، ولم أجد أي شيء في القرآن يمكن اعتباره تمييزيًا. هذه قناعاتي العميقة. أنا لا أكتب عن الإسلام بدافع مهني أو أكاديمي، بل بدافع روحاني. هذا ما يحفز عملي.

ز.م.ح: ما هي الروحانية. هل يمكنك وصفها؟

أ.ل: إنها الصلة بالله، بأخلاقيات الحياة. الالتزام ببذل قصارى جهدك، وبأن تكون صالحا من أجل البشرية. بالنسبة لي، هذه هي الروحانية، والعدل هو جوهرها. كلما تدبرت القرآن، زاد إحساسي أن العدل يكمن في جوهر القرآن. الإنسان مقدس في مجمل النص، دون أي تمييز مبني على الجنس أو العرق أو القومية أو الدين. أنا في مرحلة من حياتي أعتبر فيها الإنسان مقدسًا، وهذه هي الأخلاقيات الروحانية. علينا جميعًا أن نعود إلى هذه الأخلاقيات بدلًا من التمسك بقراءات عقائدية أو سطحية، والعودة إلى الجوهر الأساسي الذي يتمثل في الأخلاق الروحانية.

تسعون بالمائة من القرآن تخص الكائن البشري، مما يمهد الطريق للأفعال أو السلوكيات الصالحة. إنه يعطي أهمية كبيرة للمفاهيم الأخرى المتعلقة بالإنسان، مثل العقل. يُعامل الإنسان والعقل على قدم المساواة. إذا لم يكن لديك عقل فأنت لست إنسانًا. ومع ذلك، من المدهش أن كتب التفسير أو الحديث تركز عشرين بابا أو أكثر عن الزواج (النكاح)، والصلاة (الصلاة)، والوضوء (الوضوء)، ولا يوجد أي باب لا عن العقل، ولا العدل، ولا العلم. ما هو الكائن البشري بدون العدل والعقل؟

عندما يدرس العلماء القرآن ويحفظونه، فإنهم يدرسون هذه الفئة من المواد التي تخلو من أي مناقشة للعدل أو العقل، ولا أعلم لماذا. ألا يبدو الأمر سياسيًا؟ يتم صرف انتباهك عن استخدام عقلك، وعن الانخراط في العدالة، ويتم توجيهنا ببساطة لتنفيذ أوامر العلماء، وهو أمر توافق عليه السلطات السياسية.

ز.م.ح: هذه هي الأسئلة التي أطرحها في عملي. كما تقولين، المشكلة ليست في النص بل في السياق، والطرق التي يتم بها استخدام النص لدعم البنية السلطوية والأبوية/البطيركية. ولكن في البلدان الإسلامية، لا يسمح لنا النظام السياسي بالتحدث عن هذه القضايا بشكل صريح وطرحها في الفضاء العام. في الوقت الحالي، يتم إسكات كل من أراد القيام بذلك في بلدانهم أو يتم تهميشهم.

أ.ل: هذه هي مشكلتي. داخل هذه المؤسسة، حدودي هي حدود سياسية. أنا أصطدم تدريجيًا بالحائط. لأنني أتساءل: لماذا لا توجد عدالة؟ لماذا يوجد تمييز؟ لماذا لا يستخدمون العقل؟ لماذا، لماذا؟ نحن لا نعمل فقط من أجل المرأة.

ز.م.ح: نعم، فكل شيء يتلخص في السياسة والسلطة. إن إنتاج المعرفة مرتبط ارتباطًا وثيقًا بممارسة السلطة. أعتقد أن المقاربة النسوية يمكن أن تكون هنا ناجعة، لأننا بحاجة إلى مساءلة هذه الديناميكية. من المستحيل أن يكون لدينا فهم مساواتي للقرآن دون تحد للسلطة السياسية. إنها حلقة مفرغة. نحن بحاجة إلى إضفاء الديمقراطية على إنتاج المعرفة الدينية، وهو أمر غير ممكن بدون نظام سياسي ديمقراطي ومجتمع متفتح، وهذا لن يحدث في جيلنا.

أ.ل: بالتأكيد، لن يتحقق ذلك في حياتنا، لكن من واجبنا وضع الأساس للأجيال القادمة.

رحلات نحو المساواة بين الجنسين في الإسلام

زيبا مير حسيني

تحديث

في أيلول (سبتمبر) 2015، عقدت منظمة "مساواة" اجتماعًا لمجلس الإدارة بالرباط، حيث تقدمنا بطلب إذن للتسجيل كمنظمة غير حكومية دولية. كنا متفائلات، وبدأنا في التخطيط لنقل مركزنا إلى الرباط. نظمت أسماء مادية عشاء لنا، ودعت فاطمة المرنيسي لمقابلتنا، وأخبرتنا أن صحتها ليست على ما يرام ولا يمكنها البقاء إلا لمدة ساعة. في الواقع، مكثت لفترة أطول بكثير، وتحدثت معنا بحماس عن "مساواة" ومشروعنا للانتقال إلى المغرب.

في أواخر تشرين الثاني (نوفمبر)، عدنا من جديد مع "مساواة" إلى المغرب وعقدنا إحدى دوراتنا لبناء القدرات - الإسلام والمساواة بين الجنسين والعدالة - في دار الضاية، على بعد ساعة واحدة فقط من الرباط. في اليوم الثاني من الدورة (30 تشرين الثاني (نوفمبر) 2015) وصلتنا أنباء وفاة فاطمة المرنيسي. كان ذلك حوالي الظهر، خلال جلسة أمينة ودود حول "القراءة من أجل النوع الاجتماعي في القرآن: النص والسياق"، مع زينة أنور كمسيرة. كانت هذه هي الزيارة الأولى لأمينة إلى المغرب، وكانت حريصة على مقابلة فاطمة لأول مرة. رتبت أسماء لمرايط جمعها على الغداء، لكن فاطمة كانت مريضة جدًا ولم تستطع الحضور. لم تكن هناك فرصة لتحديد موعد اجتماع آخر، حيث كانت أسماء مرتبطة بالسفر، وكانت أمينة ستغادر قبل نهاية الدورة. لذلك لم يلتقيا أبدًا [34].

يوم وفاة فاطمة المرنيسي، أرسلت لنا أسماء رسالة بريدًا إلكترونيًا، قائلة: أردت فقط أن أشارككم آخر كلمات على الهاتف مع فاطمة عندما اعتذرت عن عدم حضور الغداء مع أمينة... قالت "أخبروها أنها رائدة و"مساواة" هي المستقبل". بصوت ضعيف جدا. كانت تعاني ومع ذلك لديها أمل في المستقبل. رحمها الله. [35]

عندما انتهت الدورة التي استمرت أسبوعًا، بقيت مع زينة أنور ومروة شرف الدين لتتبع طلبنا لتسجيل المنظمة. عادت أسماء من سفرها، وأخذتنا لزيارة قبر فاطمة المرنيسي. ترحمنا عليها وتلونا الفاتحة معًا. كانت لحظة مؤثرة بالنسبة لنا جميعًا، وخاصة بالنسبة لي إذ دامت معرفتنا منذ سنة 1988 حين كنت أجزى عملاً ميدانيًا في الرباط وقامت هي بتوجيهي [36]. أرى أسماء الآن كوريثة المرنيسي لتواصل رؤيتها، والمغرب هو المكان الأنسب لمنظمة "مساواة" لمواصلة عملها. ولكن على الرغم من جهودنا الحثيثة، لم نتوصل قط بإجابة لطلبنا للتسجيل، فكان علينا التخلي عن مشروع الانتقال إلى المغرب.

في عام 2018، تسببت ضجة جديدة حول أسماء المرابط في دفعها إلى الاستقالة. كان السياق هذه المرة هو حملة استمرت عقدًا من الزمان لمراجعة قوانين الارث التمييزية. سنة 2015، اكتسبت حركة المجتمع المدني من أجل الإصلاح زخمًا جديدًا، عندما حث المجلس الوطني لحقوق الإنسان المغربي الحكومة على إنهاء جميع أشكال التمييز ضد المرأة، بما في ذلك موضوع الارث [37]. نشر في 2017 عمل جماعي يضم ثلاثة وعشرين دراسة أجراها باحثون مغاربة من مختلف التخصصات، من ضمنهم أسماء المرابط، بثلاث لغات (العربية والفرنسية والإنجليزية) [38]. قامت بتحرير الكتاب سهام بن شقرون، أخصائية نفسية وروائية معروفة، مسؤولة أيضا عن نشر عريضة عبر الإنترنت لإلغاء قاعدة التعصيب، والتي بموجبها، إذا توفي رجل ولم يترك سوى بنات، فإن نصف ممتلكاته يرثها أقاربه الذكور. تم التوقيع على هذه العريضة من قبل أكثر من 100 مثقف مغربي، بمن فيهم المرابط مرة أخرى [39]. في 18 آذار (مارس) 2018، وبعد تقرير صحفي نُقل فيه عن المرابط قولها إن القرآن يدعم المساواة في حقوق الميراث بين النساء والرجال، استقلت من منصبها كمديرة لمركز الدراسات والابحاث حول قضايا المرأة في الرابطة. أثارت استقالتها، التي نشرتها الصحافة الوطنية على نطاق واسع، مجموعة من ردود الفعل. كانت صورتها على غلاف المجلة الليبرالية الجريئة Telquel، مع العنوان الرئيسي "أسماء المرابط: ضحية على مذبح النظام الأبوي/الباتريركي" [40]. اعتبرت الصحافة المحافظة قراءة المرابط للقرآن "منحرفة" [41]، وأشادت برحيلها من الرابطة. لاقت جميع طلبات الصحافة للتحدث مع أسماء بالرفض، إلى أن كسرت صمتها في 26 آذار (مارس) ببيان من عشر نقاط على موقعها الإلكتروني. أوضحت النقطة الثانية: "خلال مؤتمر أكاديمي قدم العمل الجماعي حول الميراث، أثارت كلماتي، التي أعربت عنها بصفتي الشخصية الباحثة، والتي نشرتها إحدى الصحف، استنكارا وجدلاً كبيرًا خلال الدورة العشرين للمجلس الأكاديمي للرابطة. أمام هذا التضيق، اضطررت إلى تقديم استقالتي بسبب الاختلافات المتعلقة بمقاربة المساواة بين الجنسين داخل الإطار الديني" [42].

[34] في مارس 2016، نشرت "مساواة" تكميلاً عبر الإنترنت لفاطمة المرنيسي (مساواة، 2016)، يشمل مساهمات أسماء المرابط، أمينة ودود، زينة أنور وأنا. [35] I.B. Tauris (2013). Gender and Equality in Muslim Family Law, Justice, and Ethics in the Islamic Legal Tradition. I.B. Tauris [36] <https://zibamirhosseini.com/wp-content/uploads/2021/11/HonouringFatimaMernissiZIBAMIRHOSSEINI.pdf> [37] Erwin, C. (2015): <https://ilg2.blog/2015/10/29/inheritance-law-reform-in-morocco-at-the-intersection-of-human-rights-and-religious-identity/#more-7554> [38] بنشقرين، س. (محررة). (2017). ميراث النساء: دراسة متعددة الاختصاصات حول الإرث في المغرب. [39] <https://www.morocoworldnews.com/2018/04/90850/inheritance-debate-call-gender-equality-persist-morocco/> [40] Mende, C., 2018: <https://qantara.de/en/article/islamic-inheritance-law-morocco-and-tunisia-feminist-asma-lamrabet-under-pressure> [41] غير أرثوذكسية. [42] النص الفرنسي الأصلي موجود في الفيلاي 2018. للاطلاع على عينات التغطية الصحفية في المغرب، انظر القصراوي، 2018. وللتغطية الدولية، انظر لندسي، 2018.

رحلات نحو المساواة بين الجنسين في الإسلام

زيبا مير حسيني

بعد استقالتها، اتصلت بي أسماء وهي في حالة ضيق نفسي، فأدركت كم أزعجها الجدل الإعلامي حول استقالتها، خصوصا لأنه صرف الانتباه عن قضيتها: المطالبة بمراجعة قوانين الميراث. لم تدل بعدها بأي تصريحات علنية أخرى.

منذ آذار (مارس) 2019، تعيش في بريتوريا، جنوب إفريقيا، حيث رافقت زوجها إلى منصبه الدبلوماسي الجديد. وهي تعمل الآن كباحثة مستقلة، غزيرة الإنتاج ومطلوبة كما كانت من قبل. تحقق تحذير عبد الله النعيم سنة 2009 بشأن مخاطر العمل مع المراكز الدينية التعليمية. لقد تنبأ بشكل واضح بأنه بسبب الديناميكيات المؤسسية والمصالح الخاصة، فإن العلماء لن يتقبلوا رؤيتنا الإصلاحية. أثناء تحرير نص محادثتنا، أدركت أنه كان غير مكتمل بدون مناقشة استقالة المرابط من الرابطة. أرسلت لها المسودة للتعقيب، وسألت عما إذا كان بإمكاننا إجراء محادثة أخرى، يمكنها فيها تقديم روايتها الخاصة عن الاستقالة، ويمكنني أيضًا أن أسألها عما إذا كانت لا تزال تعتقد أنه من الممكن العمل مع العلماء. كتبت رسالة تقول فيها: "بكييت وأنا أقرأها [المسودة] لأنها ذكرتني بكل تلك الأحداث... فهو تاريخنا كما تعلمين... إنه ليس أكاديميًا... إنه صريح وصادق." لذلك نسقنا لمحادثة ثالثة، تمت عبر الإنترنت، في 13 شباط (فبراير) 2020.

ز.م.ح: لم تتحدثي قط علنًا عن كيفية انتهاء تعاونك مع الرابطة. ماذا حدث؟ وما كان وقع ذلك عليك؟

أ.ل: بدأ كل شيء بنشر دراستنا الجماعية حول الميراث في المغرب. كانت المنسقة كاتبة، والعمل يتضمن ثلاثة وعشرين مساهمة تتراوح بين الفقه وعلم الاجتماع وعلم النفس. في وقت لاحق، نظمت ندوة لتدشين الكتاب، عقدت في جامعة الرباط، وكنت واحدة من المتدخلين. قلت ما أقوله دائمًا: الحاجة إلى إعادة التفسير، ثم اقترحت أنه، كما حدث مع إصلاح قوانين الأسرة، ربما تكون هناك حاجة إلى لجنة استشارية لمراجعة قوانين الميراث. تم نشر ذلك في موقع إخباري عربي على الإنترنت - هسبريس - مع عنوان يفيد "مديرة مركز الدراسات النسائية في الرابطة تقول إنه يجب مراجعة قوانين الارث". ظهر الخبر في نفس اليوم الذي كانت فيه الرابطة تعقد اجتماعها السنوي في مراكش؛ واستنكر العلماء. كنت في إسبانيا أدرس عندما تلقيت مكالمة من مساعد السيد العبادي، يطلب مني كتابة بيان لهسبريس بأن الخبر غير صحيح. أجبت: "لا، لن أكذب، العنوان إشكالي، لكن مضمون الخبر صحيح. كانت ندوة أكاديمية وتحدثت بصفتي الشخصية، وليس نيابة عن الرابطة". كانت هذه المحادثة مع مساعده. لم يتحدث معي السيد العبادي. فأرسلت له رسالة نصية: "آسفة بشأن هذه المتاعب، يسعدني الاستقالة إذا كان الأمر يسبب لك مشاكل". فأجاب: "أنا آسفة، يجب أن أقبل استقالتك." بعد ثلاثة أيام، أصدر العبادي بيانًا صحفيًا مفاده أن "مركز الدراسات النسائية في الرابطة لديه مديرة جديدة، وهي عالمة القرآن فريدة زمرد، التي تحترم الشريعة وتقاليدنا".

هذا ما حدث - بشكل مفاجئ. ومن ثم تسلسل كل شيء: المكالمات الهاتفية، والرسائل النصية، وطلبات إجراء المقابلات. رفضت كل ذلك ولم أتحدث عنه أبدًا للصحافة. أخذني زوجي، إلى مكان بدون إنترنت أو هاتف لمدة أسبوع، لكنه قال إنه يجب على توضيح موقعي، لذلك نشرت بيانًا على موقعي على الإنترنت لشرح أسباب استقالتي [43]. كنت مرهقة من العمل، أخبرتك بذلك. أخبرت العبادي مرارا أنني أريد الاستقالة، لكنه كان يقول دائمًا: "لا، لدينا عمل للقيام به، إلخ." لم أتوقع أن يحدث ذلك بهذه الطريقة. [العمل في الرابطة] كان مهمًا في حياتي - كان أشبه بالقطيعة. يتم استدعائي حاليًا كمفكرة مستقلة، وهذا جيد. كنت أعتبر في الماضي عضوة من مؤسسة دينية. كان الإسلاميون يحترموني وكانوا يعرفون أنني مع الإصلاح. أشعر أن هناك قطيعة في العلاقات. كتب لي البعض: "نحن لا نتفق معك، لكننا نحترمك." عندما تخلت عن الحجاب، قال لي البعض: "يا إلهي، كنا نحترمك وكان يجب أن تحتفظي بحجابك، لأن الأمر بالنسبة لنا كان كما لو كنت مع الإصلاح ولكن بحجابك كنا نثق بك..." يبدو أن الأمر كان يتعلق بالحجاب فقط.

ز.م.ح: إذن، لماذا قررتِ التخلي عن حجابك، الذي أسميته خمارًا؟

أ.ل: نعم، لقد أسميته خمارًا، لفترة طويلة، كما كتبت جيدًا في مسودتك. كما قلت لك، في المرحلة الأخيرة ارتديته فقط بشكل تضامني، لمناهضة الإسلاموفوبيا. في النهاية وصلت إلى حد الاحساس وكأنني منافقة مع نفسي ومع خالقي.

رحلات نحو المساواة بين الجنسين في الإسلام

زيبا مير حسيني

لذلك قلت: " يجب أن أكون متوافقة مع نفسي ومع مبادئي." ثم ذات يوم، أدركت: "لقد انتهى الأمر، لم أعد أستطيع تحمل هذا بعد الآن. بالنسبة لي كان الأمر كما لو أنني وصلت إلى نقطة الارجوع، كيف يمكنني أن أشرح... بشكل ما، كان الأمر كما لو كنت متفقة شيئاً ما مع أيديولوجية الإسلام السياسي." كما تعلمين، ترتدي غالبية النساء حجابهن بقناعة وروحانية عميقة - كنت واحدة منهن - لكن أيديولوجية الإسلام السياسي استخدمت الحجاب واستغلته لأغراض سياسية. "شعرت وكأنني استعملت من قبل الإسلام السياسي وشعاراته بدون وعي وبدون ارادتي". كما سبق وأشرت، فإن أغلبية النساء لهن حساسية روحانية مفرطة، وهناك ضعف في استيعاب حقيقي حول المعنى الروحاني لهذا الموضوع. ارتديته لأنني أردت أن أكون متناسقة روحانياً مع نفسي، وأردت أن أفعل ذلك من أجلي ومن أجل الله، ثم وعيت بأنه لم أعد احتاج إليه روحانياً وأنه أصبح في آخر الأمر مجرد عادة لا معنى لها بالنسبة لي...".

عندما ذهبت إلى جنوب إفريقيا في أيلول (سبتمبر)، قررت تدوين تصريحتي على فيسبوك. لماذا؟ لأن لدي الكثير من المتابعين، وكان الناس يتحدثون عما فعلته. قال البعض: "لقد فعلت ذلك لأنها انتقلت إلى جنوب إفريقيا." وآخرون: "أسماء المرابط كسرت قيودها، وهي الآن امرأة عصرية ومتحررة." كانوا يستخدمون المعلومة ضد بعضهم البعض، لذلك كان على أن أدلي بالبيان لأقول إن "ارتداء الحجاب أو عدم ارتدائه" ليس هو الجوهر، إنما هو التسامح والتنوع والحق في الاختيار، والعديد من الأشياء الأخرى، و ان المهم هو تحرير جسد المرأة من كل القيود التي تجبرها على أن تكون ما لا تريد أن تكون. لم أكن أرغب في الدخول في هذا الجدل لأن بعض الحداثيين خطرون مثل الإسلاميين في التلاعب بهذا الموضوع. لقد وضعت صورتي رسمياً بدون غطاء الشعر وقلت: "لدي الحق في الاختيار. في الماضي اخترت الخمار والآن أختار عدم ارتدائه." [44]

ز.م.ح: أسماء، عندما تحدثنا في عامي 2010 و2014، كنا حريصات على العمل مع وداخل المؤسسات الدينية. كنت متفائلة آنذاك، ولكن لم أعد كذلك. ماذا عنك؟ هل تعتقدين أنه ما زال ممكناً التعاون مع العلماء؟

أ.ل: لا أعتقد ذلك حقاً... ولكن كما تعلمين، لا أريد أن أقول ذلك رسمياً، لأنني لا أريد أن أجعل الباحثين الشباب يأسون من المؤسسات الدينية. هناك العديد من الباحثين وعلماء الدين الجيدين الذين يريدون العمل من أجل الإصلاح، لكنهم يتعرضون لضغوط لتجنب ذلك. علينا كسر الحواجز. لست متأكدة ولكنني أمل أن نتمكن من فعل ذلك يوماً ما.

إنني أشاطر المرابط قناعتها بشأن الحاجة إلى إبقاء الحوار مع العلماء مستمراً، بينما أشار أيضاً عبد الله النعيم تشاؤمه بشأن استعدادهم للتغيير، والذي عبر لي عنه في عام 2009. لا تزال كتابات العالمات والباحثات الإصلاحيات المسلمات لا مكان لها داخل مراكز التعليم الديني. يتم إما استبعادها من المناهج الدراسية أو إخضاعها لرقابة شديدة ويتم استحضارها للطلاب والاستشهاد بها بشكل انتقائي لإظهار "الأخطاء" في المنهجية و"جهلهم" بالتراث الإسلامي. [45] ولكنني أعتقد أن هذا مآله التغيير، لأن طرق التفكير القديمة لم تعد ترضي الأجيال الشابة. أما الكتابات التجديدية والنسوية فهي تعطي إجابات لأسئلتهم وتحرز تقدماً تدريجياً. الوقت في صالحهم بالفعل.